"هيروبولس"

(رواية)

محمد التهامي

2hamy

بورتوفيق

"هيروبولس"مدينة قديمة تم بناؤها بجوار خليج "السويس" وأصبحت مدينة هامة على مدار التاريخ بسبب موقعها الفريد على الخريطة المصرية وبعد أن أطلق "عبد الله الغريب" صيحاته "ادخلوها سواسية ترهبون أعداء الله " تغير اسمها إلى "السويس".
في أعلى "هيروبولس" توجد مدينة صغيرة على شاطئ البحر، كل بيوتها تتكون من طابقين، حول كل بيت حديقة صغيرة في وسطها حديقة أصغر تحتوي على أجمل و أنقى أنواع النباتات..تم إحضارها خصيصًا من كل مشاتل العالم.
كانت حلم مهندس فرنسي مجتهد جاءت له فرصة ليصنع مدينة في موقع متميز على خريطة العالم فصنع تحفة فنية..أطلقوا عليها "بور توفيق" و يقصد بها "ميناء الخديوي توفيق".
أغلب سكانها من العاملين في هيئة "قناة السويس" و بعض الفرنسيين والإنجليز وآخرون من جنسيات مختلفة.
في الميناء...وقف أهل "عزيز" يودعون السفينة المتجهة إلى "فرنسا" و يقف على سطحها "عزيز" يودع أهله وينظر إلى "بور توفيق" نظرة أخيرة قبل أن تغيب أراضي "هيروبولس" عن عينيه.
سافر "عزيز" ليكمل دراسته الجامعية - فلم يكن هناك جامعات في "مصر" وقتها - والتحق بجامعة "السوربون" و عاش هناك مع مجموعة من أصدقائه من دول عربية مختلفة بينهم اثنان من "الشام".
عاش "عزيز" عامًا في "باريس" وحيدًا غريبًا و كل ما يربطه بأخبار وطنه جريدة الإمام "محمد عبده" التي تصدر أيضا من "باريس"، ولم يستطع القضاء على وحدته إلا عندما تعرف على فتاة فرنسية تدعى "كريستين" فقد كانت فتاة أحلام أي رجل شرقي لديه ذوق، شقراء جريئة شجاعة قوية وحساسة، والأهم أنها كانت تسكن مع عائلتها في شقة قريبة من شقته..كتب عنها "عزيز" في أوراقه أنها أول وآخر حب في حياته وأقسى تجربة مر بها.

تبددت غربته و أصبحت أيامه كلها سعادة و "كريستين" تساعده على مذاكرة التاريخ، بات وقته كله مقسماً بين المحاضرات والمذاكرة و "كريستين"، يخرجان و يلعبان و يفرحان سويًا، وفي كل مرة يصارحها بحبه و تتهرب هى من إجابته!

وكان "عزيز" يُرجِع ذلك إلى خجلها ليس إلا، حتى عندما يسألها عن صديقها "ميشيل" كانت تقول أنه ليس أكثر من أخ!، ومع ذلك فكلما كان يراها معه يرتفع الدم في رأسه، وتطوف به خيالات عديدة غير سارة على الإطلاق، ولكن وجوده في "فرنسا" يمنعه أن يطلب منها قطع علاقتها بزميلها، كما أنه هو الآخر لا يعتبر أكثر من مجرد زميل أو صديق لها، أوقات كثيرة تمنى "عزيز" أن يبتعد عنها لأن تربيتها لا تناسبه، إلا أنه عندما يغيب عنها يومًا واحدًا يشعر بالغربة والوحشة التي تشده شداً إليها من جديد!

في العام الثاني له في "باريس" وصلته برقية من خاله تخبره بوفاة والده،وكان هذا يعني ضرورة عودته إلى بلده ليكون بجانب والدته، فلم يكن له أشقاء.
حاول "عزيز" أن يخبر "كريستين" لكن خاله لم يتركه يهدأ، و أرسل له برقية ثانية:" إن لم تعد فلن أرسل لك أية أموال بعد اليوم".

يومها تجول "عزيز" في الحواري بلا هدف، و قرر في النهاية أن يخبر "كريستين" ويتفق معها أن تأتى إلى "مصر" بعد أن تنتهي من دراستها، المشكلة أنه حتى الآن غير متأكد من مشاعرها تجاهه، هل هي إخوة و صداقة أم حبًا؟!!.

حتى عندما كان يقول لها "أحبك و أرغب في الزواج منك" كانت تبتسم ولا تعلق، وكم تمنى "عزيز" لو تأخرت وفاة والده شهرًا واحدًا، لكنه سرعان ما ثاب لرشده واستغفر الله من هذه الأفكار، كان يشعر في أعماقه أنها تحبه حتى وإن لم تصرح له بذلك.

كانت "كريستين" ترى فيه شخصًا مختلفا، قادمًا من ثقافة مختلفة، وكانت تحب نظرة الخجل والتردد في عينيه عندما يغازلها، و في كثير من اللحظات تشعر أنه فارس قادم من بين أوراق حكايات العصور الوسطى، كانت تحب تكريمه لها، وعدم معاملته معها بندية، فهو يتعامل دائماً على أنه الأقوى، كانت تشعر معه بضعفها وتستمتع بذلك!

بالقرب من بيته وجد مجموعة من الشباب بينهم "كريستين"، وهى تنظر نحوه وتستنجد به لأن هؤلاء الشباب تعرضوا لها مع صديقها "ميشيل" أثناء عودتهما من "الكافيه".
صُدِم "عزيز" لأنه لم يتخيل من قبل أنها تحب "ميشيل"، و سألها لحظتها: "لماذا لم تخبريني أنك تحبين ميشيل ؟!".
كتب "عزيز" في مذكراته أنه وقع في دائرة غريبة، وكان همه الوحيد لحظتها أن يعرف هل "ميشيل" مجرد صديق أم هو حبيب.

ذهب وأنقذه وجاءت الشرطة ليتم القبض على الجميع، و قضى "عزيز" و "ميشيل" الليلة في الحجز، لم تغفل عين "عزيز" دقيقة واحدة بسبب التفكير فيها والبكاء عليها، وإن كان قد أخبر صديقها أن سبب بكائه هو حزنه الشديد على وفاة والده في "مصر"، وفي النهاية تم الإفراج عنهما.

في الصباح جاءت "كريستين" تشكره على مساعدته، فشكرها هو على كل الأوقات الجميلة التي منحتها له تحت أي مسمى، فيكفي أنه عاش معها ـ ولو في خياله! ـ حلمًا جميلا.

تركها في "الكافيه" بعد أن دفع الحساب، وخرج مسرعًا دون أن يسمع ردها، ولما خرجت خلفه و ذهبت إلى شقته، وجدته يبكي، فاحتوته بين ذراعيها، ثم تركته مسرعة.

عاد "عزيز" من "فرنسا" إلى "هيروبولس" و عمل في شركة "هيئة القناة" وكوّن عدداً من الأصدقاء مصريين وأجانب، وكان يجلس مع صفوة المصريين والأجانب في "لوكاندة بلير"، يشربون النبيذ، و في أوقات يجلس على مقهى شعبي آخر شارع "النمسا" يسمع السيرة الهلالية على الربابة.

2

*****

زوّجه خاله من ابنته "فاطمة" التي رغم حبها الشديد له ..لم تفهمه يومًا، و كتب أنه تزوجها بسبب إصرار والدته.

كانت "فاطمة" ثقيلة الوزن، خفيفة العقل، وكان في خياله دائماً ما يقارن بينها وبين "كريستين" التي أحبها!، حاول "عزيز" جعل "فاطمة" تشبه "كريستين" لكنها لم تستسلم له، حاول أن يعلمها و يطورها، لكنها استغلت تطورها في التمرد عليه وعلى أفكاره!

في نفس الوقت الذي كانت حماتها تطالبها فيه بالدعاء لابنها الذي علمت من شيوخ العالم السفلي أنه "ملموس" من جن أزرق تحت الأرض، فكانت "فاطمة" تضع له الأعمال التي تحضرها والدته تحت السرير، وتحت الوسادة، كما كانوا يضعون له ماء مخصوصة في الشاي!.

في ليلة..جاء مخمورًا، وأثناء معاشرته لزوجته أخطأ ونطق باسم "كريستين"، ورغم صدمة "فاطمة" الشديدة، فقد كتمت هذا السر داخلها، لكنها كانت تتألم كلما ناداها باسمها،وتشعر أنها يجاملها فقط، وعندما سألت العرافة عن اسم "كريستين" أخبرتها أنه اسم "الجنّية" التي تحبه، و هى السبب في أفكاره المتحررة، وأعطتها مزيداً من الأعمال التي سوف تهدأ من نفسيته وتساعده السير في الطريق الصحيح!

عندما اكتشف "عزيز" وجود الأعمال تحت السرير، غضب من "فاطمة" و من أمه، ولم يستطع أن يفعل شيئًا مع أمه سوى محاولة إرشادها و تحجيم خروجها!، في حين كانت هى تدافع عن كثرة مغادرتها المنزل بأنها ظلت محبوسة طوال سنوات حياة والده، ومن حقها الآن أن تخرج وترى الحياة قبل أن تموت.

كانت تصرفات زوجته وأمه تسبب له الكثير من الأحزان ولم يكن يهون عليه قليلاً إلا وجود أطفاله في حياته.

كان مدير"عزيز"رجلاً فرنسيًا كثير المشاكل، لدرجة جعلته يتمنى أن يرحل، آخر مشكلة حدثت بينهما كانت بسبب رغبة "عزيز" في الانصراف مبكرًا لظروف إنجاب زوجته طفلهما الرابع، وعلى الرغم من معرفته ضغط العمل فقد كان يتمنى أن يراعي المدير ظروفه، كما يراعي هو ظروف العمل!.

وأمام إصرار "عزيز" وافق المدير الفرنسي على مضض و أعطى له يوماً إجازة في محاولة لإرضائه، فمركز "عزيز" يمنحه العديد من الصلاحيات حيث يعتبر حلقة الوصل بين العاملين المصريين والأجانب، وعلى الرغم من أن المدير الفرنسي حازم إلا أنه أيضاً طيب القلب.
بعد موضوع الإجازة تم الصلح بين "عزيز" ومديره الفرنسي، وهدأ الوضع بينهما، حتى أن المدير زاره المدير يومها في منزله ليبارك له على مولوده الجديد " يزيد".
كان "عزيز" دائما "يلعن" خاله الذي حرمه فرصة أن يكمل تعليمه فيحصل على منصب أهم ومستوى أعلى لا أن يقضي باقي عمره موظفًا!!

من الأشياء الهامة التي وترت العلاقة بين "عزيز" و مديره الفرنسي إصراره على استقبال الزعيم "أحمد عرابي" بعد قضاء سنوات النفي في جزيرة "سيلان"، فعندما عاد "عرابي" لم يستقبله أحد من الحكومة، سوى بعض الموظفين من بينهم "عزيز"، كان الوضع مستقراً في "مصر" وقتها وكانت الزعامة قد انتقلت إلى "مصطفي كامل" و"فريد" ولم يعد أحد يتذكر "عرابي" حامي "مصر".
عرابي: "من المفترض أن يأتي المحافظ لاستقبالي"
أخبره "عزيز" - بشكل غير مباشر - أنه لا يريد أن يقابله، رأى الدموع في عيني الزعيم السابق الذي - برغم كل شيء - لم يغضب كثيرًا، فقد تعود على الخيانة، و قد أفقدته سنوات الغربة بريق عينيه و صرامتهما، و جعلتها مجرد عيون حزينة تعرف الهدوء و الرضا بالأمر بالواقع، وابتسم "عرابي" عندما عرف أن المحافظ كان ضابطًا نشطًا في ثورته!
خرجت يومها جماهير"هيروبولس" تستقبل الزعيم السابق وتلتف حول القطار المتجه إلى "القاهرة" مما هون كثيراً على الزعيم.
وصفه المدير الفرنسي بأنه ليس زعيماً وإنما مجرد خارج على القانون، واهتمام "عزيز" به يعني عدم ولائه لشركته ووطنه، لكن في النهاية انتهى الأمر على خير.
***
حدثت بعض الأشياء التي غيّرت من "عزيز" وجعلته قريبًا من الصفوة والأجانب، وأبعدته - في نفس الوقت - عن المقاهي العادية.. أولها كان مرض

والدته وإصراره على الذهاب بها إلى الطبيب الإنجليزي الذي يعمل في "هيئة قناة السويس"..فقاطعه العديد من جيرانه، وقيل عنه كلام سيئ للغاية..وكان أصدقاؤه في "لوكاندة بلير" يضحكون قائلين:

ــ "ربط جيرانك بين انهيار الدولة العثمانية و ذهاب والدتك للطبيب الإنجليزي!".

ـ "تفتكر فؤاد ينفع يكون أمير المؤمنين؟".

ـ "طبعا ينفع يكون أمير المؤمنين ..لكن قبل ظهور الإسلام!".

حيث بدأ وقتها انهيار الدولة العثمانية وكان الملك "فؤاد" يفكر في تأسيس خلافة جديدة يكون هو أمير مؤمنيها!

كتب "عزيز" عن لوكاندة الخواجة "بلير": "لا يوجد فارق بين مصري و أجنبي..الكل سواء طالما تدفع فاتورة الحساب في نهاية السهرة!".

أكثر ما كان يؤلم "عزيز" نظرة "فاطمة" له، حيث كانت توافق على آراء جيرانها، و ترى أنه أخطأ وارتكب جريمة بما فعل، خاصة بعد أن منعها بعض الجيران من زيارتهم لأن زوجها - عديم النخوة ! ـ قبل على نفسه أن يكشف رجل أجنبي على أمه ،ومهما كانت درجة مرضها فقد كان عليه أن يذهب بها إلى العطار، فهو على الأقل لا يلمس المرضى!!

تجاوز "عزيز" الأمر بالابتعاد عن المتخلفين و الحياة بين الأجانب والمتعلمين.

******

دخلت السفينة القادمة من "فرنسا" وبها المدير الجديد إلى الترسانة بميناء "بور توفيق" لعمل الصيانة، حتى تستطيع أن تستكمل طريقها إلى "الهند"، كان هناك وفد من "القنصلية الفرنسية" ينتظر المدير الفرنسي الجديد وعائلته.

حزن "عزيز" لموت المدير الفرنسي السابق، وشهد بنفسه كل إجراءات الجنازة في الكنيسة.

حصل المدير الجديد على "فيلا" صغيرة على الطراز الفرنسي في "بور توفيق" تطل على البحر، وذهب "عزيز" ليرحب به، لكن كانت هناك مفاجأة ضخمة في انتظاره، فقد كان المدير الجديد : "ميشيل" حبيب "كريستين"، وهو الآن قد أصبح زوجها وأبًا لابنتهما "مارتين"، لم يكن "عزيز" يتصور أن "كريستين" من الممكن أن تنجب مثل النساء.. فهل تتزوج الملائكة وتنجب؟!!

في البداية ظهر القلق عليه، وأخذت الأسئلة تغزو عقله، كيف سيعامله "ميشيل" ؟، ماذا قالت له "كريستين" عنه ؟، ما موقف "كريستين" منه ؟، ما موقف "ميشيل" لو عرف أنه كان يحب زوجته؟.

لكن سرعان ما تبددت مخاوفه عندما أخبره "ميشيل" أنه لم ينس الجميل الذي صنعه معه عندما وقف بجواره في المشاجرة التي حدثت آخر أيامه في "فرنسا".

وانتهز "عزيز" الفرصة و عزم "ميشيل" على غداء مصري حتى ينتهي العمال من تنظيف "الفيلا".. وحمد الله أنه قد تخلص أخيراً من المدير الفرنسي السابق.

تشككت "فاطمة" عندما علمت أن زوجة المدير الفرنسي الجديد اسمها "كريستين"، و تأكدت ظنونها عندما قال لها أنه كان يعرفها ويعرف زوجها منذ كان في "باريس".

وحدثت المواجهة الأولى بين "كريستين"و"فاطمة" عندما لبت "كريستين" و "ميشيل" دعوة "عزيز" للغداء، فقد أصرت "فاطمة" أن يكون الغداء بدون اختلاط، فالرجال على مائدة و النساء على مائدة أخرى!

كانت "فاطمة" عصبية جداً .. وفسرت موقفها بأنها لا تأكل مع والدها نفسه فكيف تستطيع أن تأكل مع رجل فرنسي!..تعاملت "فاطمة" مع "كريستين" بلغة الإشارة وكانت تتعجب من كل تصرفاتها..بينما اندمجت البنات "شيماء" و"مارتين" وأصبحتا صديقتين.

أحست "فاطمة" في عيون زوجها بنظرات جوع عاطفي لـ "كريستين" فكأنه يود أن يلتهمها..ربطت "فاطمة" بين "كريستين" والاسم الذي سمعته من زوجها قديمًا.

في المساء أخذ "عزيز" صديقه "ميشيل" إلى "لوكاندة بلير" وعرفه على أصدقائه.. بينما بقيت "كريستين" مع "فاطمة"..كانت "مارتين" سعيدة جدا لأنها تلعب مع "يزيد" و "شيماء" وانضم إليهم "موسى" ابن جارهم "سمحون"، علموها لعبهم المصرية، فالأطفال سريعو الاندماج أكثر من الكبار لأنهم لا يتعاملون بأسس ثقافية وفكرية بل يتعاملون بصورة إنسانية فقط.

**

سمعت "كريستين" كثيراً عن "القديس بولا" الذي لم ير وجه بشر قط، وحتى الطعام كان هناك غراب يحضره له ، ذهبت "كريستين" و"عزيز" و"ميشيل"

وأبناؤهم و "راشيل" و ابنها "موسى" لزيارة دير هذا القديس، والاستمتاع بالحكايات التي تروى عنه، ولم تذهب "فاطمة" لأنها لا تحب الخروج والتنزه مع رجال أغراب عنها، ومن ديانات يهودية ومسيحية، كما لم يذهب معهم جارهم "سمحون" أيضاً، لأنه كان في انتظار بضاعة جديدة، واكتفى بإرسال زوجته وابنه.
وبينما كان الجميع مشغولاً بمشاهدة المعالم السياحية، اختفى كل من "كريستين" و "عزيز"!

"كل واحد منا يحتاج الآخر" ..هذا ما قالته له وهي تحتضنه أثناء نزولهم من جبل "نمرة" بعد زيارة دير "القديس بولا"، وكانت قبلتها بمثابة اعتذار، فهي لم تغفر لنفسها استهلاكها لمشاعره قديماً، وكان ضميرها يعذبها لأنها لم تفهم أن "عزيز" كان حدثاً مختلفاً عن الشباب الفرنسي، لأنه من بيئة مختلفة، بينما كان ضميره يعذبه هو الآخر بسبب شعوره بخيانة صديقه، ولكن أليس صديقه هو من أخذ حبيبته منه؟؟!!
بعدها حاول "عزيز" أن يبتعد عن رؤية "كريستين" قدر الإمكان حتى ينسى حبها، ومع ذلك فقد كان يعرف أخبارها - كل ليلة - من زوجها.

***

عشق "ميشيل" الطعام المصري، و كان "عزيز" يدعوه إلى الغداء معه في الشركة دائماً، وكان يطلب من زوجته أن تعد وجبة تكفي شخصين، يتناولاها في استراحة العمل، حاولت "كريستين" أن تتعلم الطبخ المصري من "فاطمة" ولكن "فاطمة" كانت تخدعها وتعطي لها الوصفات غير مكتملة!..كانت "فاطمة" تقرأ في عين زوجها عشقه لها، ولذا لم تكن تحبها!
عشقت "كريستين" مدينة "بور توفيق" وصدقت مقولة "أنها تسحر الغريب و تجعله يعيش فيها ويبتعد عن بلده التي مهما كانت أجمل و أفضل منها فلا يستطيع إلا أن يبتعد عنها"، فلو كان الغريب قد استطاع أن يبتعد لكان الآخرون قد ابتعدوا!.
كانت "كريستين" تقضي حياتها بين البيت والنادي، وقد استطاعت تكوين صداقات مع عدد من جيرانها الفرنسيين، مع الوقت أحست أنها تعيش في مدينة متطرفة في "فرنسا".

دخلـت "مـارتين" مدرسـة فرنسـية تابعـه للكنسـية مـع "نجـلاء" و"شـيماء" و"يزيد".. كان الكل يحرص عليها كأنـها أخت لهم.

بحر ريكس

في يوم ميلاده الأربعين رأى "عزيز" - فيما يرى النائم- نفسه في صحراء مترامية وهو يبحث عن الماء، يلهث ويكاد يموت، وكلما رأى بعضاً منه وأتاه وجده سرابًا !!.. "إن احتياج الإنسان إلى الحقيقة يجعله يجري خلف شبيهاتها"، جاء من خلفه الشيخ "عبد الله الأربعين" بلحيته البيضاء الطويلة و عمامته الخضراء، كان يردد في سره" يا غفور يا رحيم يا أرحم العالمين".
اقترب منه "عزيز" فنصحه أن يذهب إلى والده، و سأله لماذا لا تزور والدك؟!!

نهض "عزيز" و صلى ركعتي الفجر في مسجد "الأربعين"، كان الشيخ "الأربعين" صديقًا لوالده وخاله، ولم يره "عزيز" سوى مرة واحدة في صغره، عاش "عبد الله الأربعين" أثناء حفر القناة، حيث كان يحفز العمال على الثورة ضد الظلم، والتف حوله عدد كبير منهم، وبعد أن توفى أقام له الأهالي مسجدًا لتخليد ذكراه.

بدأ عزيز يتردد على قبر والده ويتذكر كلامه، للموت رهبة تجعلك تعيد التفكير في كل شيء، بدأ "عزيز" يمتنع عن الذهاب إلى "لوكاندة بلير"، فكان يعود من العمل ليجلس في غرفته، يفكر في الحياة والوجود، ولماذا نأتي إلى الحياة ونعيش في ظروف رسمها لنا غيرنا ..ثم نموت تاركين كل شيء في لحظة لا نختارها ولا نعرف حتى متى تأتي؟؟!!
عندما طال غيابه عن سهرات "لوكاندة بلير" زاره "ميشيل" و"سمحون" في البيت وحاولوا أن يأخذوه معهم إلى السهرة، فذهب معهم بعد طول رفض وعناد، لكنه أخبرهم أنه امتنع عن الخمور وسيكتفي فقط بالتدخين.
**
فكر "عزيز" في حال أسرته الصغيرة، لكنه رأى أنه مهما حاول التأثير في أبنائه، فهناك عوامل أخرى تؤثر فيهم، و إن أردت أسرة مثالية فعليك أن تعيش في مجتمع مثالي خيالي!
عانى "عزيز" من ابنه "نجيب" الذي يسير في طريق خاطئ، وتمنى أن لو كان قدراً على كل الشباب أن يخطئوا، فليكن خطأ ابنه من النوع الهين البسيط ، لكنه

كان يعرف يقيناً أن أخطاء ابنه كبيرة .. كبيرة جدًا!، وعلى الرغم من محاولاته المستمرة أن يعيده إلى صوابه ..لم يفلح في ذلك أبداً !!
**

كل ما يريده "نجيب" أن يحقق ذاته، أن يُشعر الآخرين بأهميته، حاول أن يكون متميزاً في التعليم، لكن التعليم صعب، حاول أن يكون واعظاً، لكن كثرة أخطائه جعلت الجميع يستهين بما يقول!
كان يشعر باهتمام أبيه بأخيه "يزيد" وأخته "نجلاء" أكثر من اهتمامه به، خاصة أنهم متميزون في التعليم، وعندما حاول أن يتقرب من أخيه "يزيد" فشل!، واستمر يرى أخاه بعيدًا عن الحياة الحقيقية، حيث ينفق كل حياته في أوهام الدراسة والمستقبل!!، ومن يضمن لنا أن نعيش غدًا؟!، علينا أن نستمتع ونفرح، فالحياة مهما كانت طويلة فعمر الشباب قليل!
ذات يوم حكى "يزيد" لأخيه الكبير عن حبه البريء لـ "مارتين" ابنة "كريستين" فطمأنه أخوه، وبعد العشاء أخذ "نجيب" أخاه "يزيد" إلى بيت من بيوت المتعة الموجودة خارج المدينة - أنشئت بيوت المتعة القانونية للترفية عن جنود الإنجليز والأجانب - كانت شقة صغيرة بها عدد من الفتيات يرقصن على أنغام "طبلة" بملابس قصيرة، وكان هناك بار صغير، يقف عليه قواد عجوز، يحصل على أجر قضاء الليل مع الفتاة قبل أن تدخل معها للفراش، والغرف عبارة عن عدة أسرة يفصل بينها ستائر !!

منذ أن دخل "يزيد" البيت وهو لا يشعر بالأمان، صحيح أنه يريد الحب، لكنه لا يريده بهذه الطريقة المهينة "من الإهانة لشخصيتي وكرامتي أن أجلس مع جنود الإنجليز نتبادل النساء في مكان واحد!!"، لم يفهم أخي نجيب عندما حكيت له عن حبي لـ "مارتين"، "أتمنى أن أتبادل الحب مع الفتاة التي أحبها، وليس مع أي فتاة أخرى، سامحني يا أخي لست حيوانا"، غادر "يزيد" البيت مسرعًا، وذهب ليسير بجوار البحر، يشتكي له همه و أحلامه مع حبيبته، بينما أكمل "نجيب" سهرته، و فسر هروب أخيه بأنه ما يزال تلميذًا يخاف من الحب ولا يعرف مصلحته!
كان "نجيب" يحب تدخين "الحشيش التركي" مع أنفاس "الجوزة" على سطح بيت صديق له قريباً من البحر بعد أن يغادر الشقة، فقد كان دخان "الحشيش" مع هواء البحر يجعلانه يعيش في عالم مختلف..ومليء بالأحلام!

**

بعد منتصف الليل عاد "نجيب" إلى غرفته، وكان كثيراً ما يسمع أصواتًا تتحدث حوله في الغرفة، كان يفسر ذلك بكثرة ما تناول من "حشيش"، فيذهب ليأكل الطعام الذي كانت تتركه له أمه في وسط الحجرة، زادت حدة الأصوات هذه الليلة، وفجأة ظهرت أمامه، تتفجر أنوثتها من خلف جلبابها الذي يُظهر أكثر مما يُخفي!

عرفته على نفسها "ماسي" جنية عذراء تريده في الحلال، جمالها بدد خوفه، كانت عيناها سبحان الخالق في إبداعهّ!!، ضحكتها موسيقى روحية تنعش القلب، والشعر الغجري المكنون يصل إلى الأرض، كانت ترتدي خمارًا أبيض شفافًا..وتطلب منه أن يكون زوجها!

جلست معه تقاسمه العشاء، تطعمه بيدها، ويطعمها بيده، إنها رقيقة، جميلة وناعمة، وتختلف تمامًا عن الفتيات اللائي عرفهن!، من يومها ذاب عشقًا فيها و في شعرها، طلبت منه ألا يدخل غرفتهما أحد، وهى التي ستتولى كل أعمال التنظيف والترتيب، وهكذا منع "نجيب" أخته وأمه من دخول الغرفة، فزوجته سوف تقوم بعمل كل شيء!

وعندما حاولوا أن يفهموا منه، حكى لهم حكاية الجنية، فصدقت أمه "فاطمة" على الفور بل وراحت تحكى للناس عن بركات أسرتها المجيدة، وعن جدها الكبير الذي عندما جاء إلى "هيروبولس" جاء طائرًا لأنه كان شيخ طريقة!

و انتشرت الحكاية في "هيروبولس" كلها "نجيب عزيز تزوج من جنية"

**

عشق "يزيد" لـ "مارتين" بدأ منذ الطفولة، ومنذ كانت "مارتين" تأتي إلى بيتهم، فهي صديقة أخته "شيماء"، وكانت "شيماء" قريبة جدًا من أخيها "يزيد"، فكان يحكى لها عن مشاعره تجاه صديقتها باستمرار، أما هي فكانت ترى "مارتين" غير مناسبة له، لأنها متحررة ومن أسرة أجنبية، وإن تزوجت أخاها فسوف يجد نفسه طرفاً في صراع بين ما تربى عليه وما عاشت عليه "مارتين"!

حاولت أن تشرح له، لكنه لم يستجب، فقد كان الحب يعمي قلبه وعينيه عن رؤية حجمه الحقيقي!

عندما اشتكت لأختها "نجلاء" من محاولات "يزيد" الاقتراب من "مارتين" نصحتها أن تكون صادقة مع أخيها ومع نفسها، و لكنها لم تبال بنصائح أختها وبدأت تنقل مجموعة متنوعة من الأخبار السيئة عن "يزيد" أثناء وجودها مع "مارتين"، لذلك لم تستجب "مارتين" لكل محاولات يزيد للاقتراب منها.

ذات يوم انتظرها "يزيد" على البحر، بالقرب من منزلهم في "بور توفيق" ليشرح لها رغبته في الزواج منها، وقبل أن ييأس، وافقت أن تسير معه على البحر، فكاد يطير من السعادة، ولكن السعادة لم تدم، حيث أخبرته أنه لا يصلح زوجاً لها!

أحبت "شيماء" الغناء والبحر والحرية، وأغلب صديقاتها كن أجنبيات ويهوديات، حصلت على قدر معقول من التعليم قياسًا بالجهل الموجود آنذاك، وكانت تملك صوتًا عذبًا تغني به لعائلتها و صديقاتها أغاني "فاطمة رشدي" و "أم كلثوم" و "ليلى مراد"، أقرب صديقاتها "مارتين" و "ماجي" ابنة "سمحون" تاجر الذهب.

**

تغير حال "نجيب" و أصبح كثير الشجار مع إخوته، وقد ساعدته الجنية "ماسي" على أن يكون شيخًا يساعد الناس في أعمال السحر، فكان يجلس على مقهى قريب من مسجد "الغريب"، ويأتي له المريدون، مما أكسبه شهرة كبيرة في "هيروبولس" في فترة قصيرة، وبدأ يفد عليه البشر من القاهرة و جميع محافظات "مصر".

وقد زادت شهرته عندما جاءه قائد إنجليزي كبير في القناة، يسأله عن مستقبله وأفعال زوجته في لندن، فأخبره أنها عشقت شخصاً آخر، ولهذا السبب لم تأت للعيش معه في "مصر"!، وعندما ذهب القائد إلى "لندن" وجدها بالفعل تخونه، مما جعله يقدم استقالته من الجيش، وظل مكتئبًا في غرفته يلعن يوم معرفته بخيانة زوجته!

كان بعض رواد "لوكاندة بلير" يخافون من "عزيز" لأن ابنه يعمل في السحر، أما "سمحون" و "ميشيل" فكانا يهونان عليه الوضع، ويخبرانه أنها فترة وستمر.

كان "عزيز" ناقماً بشدة على تصرفات ابنـه، ولـم يستطع أن يفعل شيئاً لتحول ابنه من "الحشيش" والبيوت سيئة السمعة إلى عـالم الجن و الشعوذة، كل مـا فعلـه "عزيـز" مـن القضـاء علـى التخلـف و النهضـة بأسـرته نحـو التحضـر، استطاع ابنـه أن يهدمـه بأفعالـه، وتعجب من ذيوع صيت ابنـه الـذي وصل إلـى "لندن" و "فرنسا"، لدرجة جعلت إذاعـة الـ "BBC" تـأتي لتسجل معه، رأى أن ابنه سينقل شعوذة أمه وجده إلي "أوربا".

**

بعد أن تعقد كل شيء أمام "يزيد" قرر أن يترك كليتـه و يلتحق بكليـة البـوليس، هربا من حياة المدينة و ذكرى الحبيبة، وراوده أمل أن "مارتين" قد تغير رأيهـا عندما تراه بزي الشرطة!

تقدم لخطبة "شيماء" ابنة "عزيز نـاجي" ابن "منـدور العلـوي" تـاجر الفحـم و جار "عزيز"، جاء "مندور العلوي" إلى "هيروبولس" هربـا مـن ثـأر قديم فـي "سوهاج" حيث وجد الحب والترحاب من أهلها، وتعلق قلبه بهـا، فاستقر فيهـا، "حقـا إنـهـا بلـد الغريـب"، لأن الغريـب دائمًـا مـا يجـد مكانـا متميـزاً فيهـا، لأن "هيروبـولس" تعشـق كـل مـن عشـقها، وتعطيـه أكثـر ممـا يتصـور، بـدأ الحـاج "مندور" حياته كتاجر فحم بسيط وأنهاها أكبـر تـاجر فحـم يملـك اسمـه وسمعته في السوق.

**

أقيم حفل زفـاف صغير فـوق السطوح، و أحضـر الحـاج "منـدور" شـاعراً يغنـي السيرة الهلالية، قام "يزيد" بمحاولة أخيرة مع "مـارتين" بعد أن بهره جمالهـا بفستانها الرائع، لكنـه صُدم عندما أخبرته أنـها تحب شابًا آخر يعمل في القنصلية الفرنسية، الكل كان يسأل عن "نجيب" و سر عدم حضوره، هل هـو غيـر راض عن زواج أخته ؟ أم أن زوجته الجنية منعته ؟

من الطقوس الغريبة التي كان يفعلهـا "نجيب" حتـى يهابـه النـاس، نـزول البحـر بعد منتصف الليل، كما كان يأكل اللحمـة "نيئـة"، وفـي يـوم نـزل بحـر "ريكس" ولـم يعد وكـان البحـر كثيـر الـدوامات والصخور، جـاء خبـر وفاتـه أثنـاء الفـرح وتحول الفرح إلى مأتم، لم يعترف مريدوه أنه غرق، بـل قـالوا أنـه ذهـب ليعيش مع زوجتـه الجنية" ماسـي" تحت سطح البحر وأبنائـه منـها، وتـركهم يواجهـون العالم السفلي بمفردهم، كسرت وفاتـه العائلة كلها، لم يذكر "عزيـز" عنـه الكثيـر

في مذكراته لأنه توفي صغيراً، حاولت العائلة إخفاء الحكاية وكأنه لم يولد أصلاً!.
مرضت "فاطمة" من حزنها على ابنها، و لم توافق على الذهاب للطبيب خوفًا من الفضيحة، و لم تصلح معها كل توسلات "عزيز" وأبنائها، و توفيت على إثرها تاركة أبناءها يواجهون الحياة بمفردهم.
عاش "عزيز" وحيدًا، كان "ميشيل" صديقه القريب منه، فحاول أن يخفف عليه أحزانه، لكنها دوامة الحياة وعليك أن تحزن كلما اخترت أن تعيش.

وقف "ميشيل" بجواره بقوة أثناء الصدمات التي تعرض لها، وكان ذلك يسبب له من وقت لآخر حالات من تأنيب الضمير بسبب حبه الخفي لـ "كريستين"، فمهما طالت الأيام كان حبها يزيد ولا يقل، كان يشعر أن "كريستي"ن نموذج يجب أن تسير عليه كل النساء، زاد حبه لها بعد وفاة "فاطمة" التي كان يحبها لكنه يكره تصرفاتها.

مرت عليه لحظات تمنى لو يعود إلى "الفودكا" وكان أصدقاؤه في "لوكاندة بلير" يحثونه على الشرب من أجل النسيان، لكنه كان يصر على الامتناع، فهو يخشى أن يموت ورائحتها في فمه، و إن كان والده قد ساعده مرة في التخلص منها فلن يساعده مرة أخرى.

**

تقدم لـ "مارتين" شاب مصري يعمل في القنصلية الفرنسية، ورفضت أمها "كريستين" العريس لأنها لا تريد أن تزوج ابنتها من شخص على غير دينها، بالرغم من أن "مارتين" كانت تحبه وكان يحبها، حاول الجميع التخفيف عنها، وفي صباح أحد الأيام لم يجدوا "مارتين" في البيت وعلموا أنها هربت معه خارج البلاد.

كانت صدمة هروبها قاسية جدًا على "كريستين" و "ميشيل" وقد حاول "عزيز" أن يخفف عنهم، لكنه فشل تمامًا، فالصدمة كانت أكبر منهم.

**

كان رداء الكعبة يصنع في "مصر" وقبل أن يسافر إلي "الحجاز" يجوب "هيروبولس" في احتفال شعبي رائع وبسيط، ثم يأخذه الحجاج معهم، بعد أن فقد "عزيز" ابنه ورأى الاحتفال، قرر أن يذهب إلى هناك، هرباً من كل شيء.

معاهدة 36

العالم كله يتغير، موازين القوة تختلف، "الولايات المتحدة" و "الاتحاد السوفييتي" يبحثان عن مكانهما الطبيعي في قيادة العالم، لم تعد "بريطانيا" سوى أسد عجوز سقطت أنيابه، حتى "هيروبولس" ذهب الكثير من أهلها للعمل في خدمة الجيش الإنجليزي، الكل يشعر أنه على أعتاب حرب عالمية ثانية.
ضغطت "إنجلترا" على الملك حتى يتولى "النحاس" الوزارة لتوقيع "معاهدة 36" التي تنص على أن تساعد "مصر" "إنجلترا" مقابل حصولها على الاستقلال بعد انتصارها، كما زاد وجود الإنجليز في "هيروبولس" ومدن القناة لحماية القناة وحماية مصالحهم، فالقناة هي طريقهم إلي بلاد "الهند"، القناة هي التي تربط شمال الإمبراطورية بجنوبها.
بدأت الروح تعود لأهالي "مصر" فجاء البعض ليقاوم وجود "بريطانيا" في القناة مشككين في وعودها بالانسحاب بعد النصر.

**

في إحدى الليالي بعد انتهاء السهرة في "لوكاندة بلير" ودع "ميشيل" أصدقاءه وأخبرهم أنه سيسافر إلى "فرنسا" لزيارة أهله وإنجاز بعض الأعمال مما أزعج كل الموجودين، وتعجب الجميع وحذروه من مخاطر قيام حرب في أي وقت، إصراره كان واضحاً، فأكملوا سهرتهم على صوت المطربة اليونانية الجديدة في "لوكاندة بلير".
طلب "ميشيل" من "عزيز" على انفراد أن يهتم بزوجته ويلبى لها طلباتها أثناء غيابه، لأنه لا يستطيع أن يأخذها معه بسبب التوترات الموجودة.

**

كان طلب "ميشيل".. " الاهتمام بزوجته " .. غريب بعض الشيء، وضع "عزيز" بين واجب الصداقة وواجب الحب، لذا حاول أن يقتصر في زياراته وكان غالبا ما يأخذ معه ابنته "نجلاء"، و أحياناً يرسلها بمفردها والتي كانت تتدرب مع "كريستين" على الحديث باللغة الفرنسية، ولما كان إقناع "نجلاء" بأن تزور أحداً من الأمور الصعبة - نظرا لعدم حبها الاختلاط بالناس و تقديسها لنفسها- فقد كان "عزيز" يضطر في أوقات إلى الذهاب بمفرده.

**

تخرج "يزيد" من كلية البوليس وتم تعيينه في قسم "السويس"، كان يتجول كل يوم بحصانه في أركان المدينة، وفي بداية عمله واجه مشكلات كثيرة بسبب

وجود "بلطجية" يسيطرون على بعض الشوارع الحيوية في المدينة، بجانب تدخل الإدارة الإنجليزية في عملهم ورغبتها الأولى والأخيرة في حماية نفسها فقط، فهم لا يهتمون إلا بأنفسهم!.
نجح "يزيد" في التصدي لعدد من المجرمين الذين كانوا يستغلون البسطاء ويحتمون بالسلطة الإنجليزية، وحاول كشفهم للإدارة الإنجليزية، وبعد ذلك تخلص منهم..مما زاد من حبه في قلوب الناس.
كان "يزيد" عكس والده "عزيز" الذي كان ذو نظرة سلبية للسياسة، بينما كان "يزيد" معجبًا بحزب "الوفد" وتعلق قلبه بـ "النحاس" منذ أن حضر مؤتمراً له في شارع "القصر العيني"، كان "النحاس" فلاحاً بسيطاً يعتز بمصريته ووطنيته، مع مرور الوقت تأكد "يزيد" من ضياع حلم "مارتين" فقرر أن يتزوج ليكون أسرة و يشبع حاجاته، عندما علم "عزيز" أن ابنه يريد الزواج، رشح له ابنة صديق له من "لوكاندة بلير" من أصول شامية، عندما رأى "يزيد" روعة جمالها الشامي وعيونها الزرقاء وافق على الفور، وتم الزفاف في بيت العروس حيث حضر الفرح "كريستين" وعائلة "العلوي" وعائلة "سمحون"، وكل الأصدقاء، كما جاءت مغنية شامية خصيصًا من شارع "عماد الدين" لإحياء الفرح.
**

بسبب طول فترة غياب "ميشيل" ودخول "الألمان" إلى "فرنسا" وتدميرها بالكامل، توقع الكثيرون أن يكون "ميشيل" أحد ضحايا الحرب، حاول "عزيز" بكل السبل أن يتأكد، حتى جاءه "تلغراف" يؤكد له مقتل "ميشيل"، سقط يومها من الصدمة ولم يعرف هل يفرح أم يحزن، الموضوع مربك للغاية و هو عاجز عن إدراكه!
كانت هناك رغبة من إدارة الشركة لحث "عزيز" على الاجتهاد للحصول على لقب "بيه"، كما شجعه أصدقاؤه على نفس الشيء، لو كان "ميشيل" موجوداً لكان أسدى إليه الرأى السليم، خاصة أن اللقب سوف يكلفه مبلغاً كبيراً، لكنه سيساعده - بلا شك - في الحصول على المنصب الذي تجهزه له إدارة الهيئة.
***

بعد ما تزوجت "شيماء" من "ناجي" و "يزيد" من "صفية"، تقدم موظف شاب يعمل في الهيئة إلى "عزيز" ليخطب ابنته "نجلاء".

كانت "نجلاء" مختلفة عن أخواتها، أخبرت "نجلاء" والدها أنها لا تريد الزواج الآن وتفكر في أن تستمر في العمل كمدرسة، وعندما اقتربت منها أختها في يوم لتعرف منها السبب علمت الحقيقة، وأنها لا تميل إلى الزواج، ولا تميل إلى الرجال!، لم تستطع "شيماء" أن تخبر والدها بالحقيقة، خاصة أن أختها ملتزمة ويطلق عليها الجميع أنها راهبة، واختارت "نجلاء" أن تدفع ثمن معاناتها وحدها.

**

لم يحصل "عزيز" على لقب "بيه " لكنه ترقى لمنصب المدير، فكان من حقه أن يحصل على "فيلا" في "بور توفيق"، فاختار "فيلا ميشيل"، وتركها لـ "كريستين" تقيم فيها، وكان يذهب لها بين الحين والآخر، حتى جاء يوم أثناء وجودهما في النادي يشربان الشاي، أخبرته "كريستين" أنها وحيدة و تحتاج إليه، فقد رحل أصدقاؤها عن الحياة أو عن "مصر"، وهي متأكدة الآن أنها تحبه، فلم يعد القلب قادراً على مكابدة الوحدة، قرر أن يترك الحلم ليتنفس وينمو، وترك نفسه يفرح بزواجه من "كريستين" التي عادت إليه بعد أن فقد الأمل فيها وعاش معها.

فرحة "عزيز" بعودة "كريستين" تساوي مئات الألقاب والنقود، إنها "كريستين" أجمل امرأة جاءت للأرض في نظره، حتى لو اكتسب شعرها اللون الأبيض فما يزيدها ذلك إلا تألقًا وجمالا.

كان أكثر ما يشغله مصير ابنته "نجلاء" خاصة بعد زواج أختها، ورفضها العريس الموظف، و إصرارها على العمل كمدرسة - كانت المدرسات آنذاك تعيشن كراهبات بدون زواج - هي رضيت بذلك وعاشت تعلم الآخرين اللغة الفرنسية، ولكن كيف يتركها في الحياة الصعبة بدون عائلة و بدون أسرة؟؟!!

**

عاشت "شيماء" حياة كريمة مع زوجها، لكنها كانت تخافه، حتى عندما يكون معها في أكثر لحظاتهما اقترابًا، تشعر أن عينيه مترقبتان حدوث شيء معين!- كان كثير التفكير والترقب، أحيانًا يكون صاخباً يغني ويرقص معها ويحضر لها الهدايا، وأحيانًا أخرى لا تسمع له صوتاً ولا تشعر بوجوده في البيت!، كان "ناجي" غير والده في التجارة والشخصية، حيث كان الحاج "مندور العلوي"

قوى الشخصية وصارمًا لدرجة كبيرة، لا يسمع سوى لكلام عقله، كما أنه كان ذكيًا جدًا، ويرجع ذلك إلى نشأته في "الصعيد"، غير "ناجي" الذي تربى في "هيروبولس"، فجاءت شخصيته أهدأ وأكثر مرونة عن والده، مما أدى إلى ازدهار تجارتهم، وتحولهما لأهم مُصدري الفحم لدول حوض البحر المتوسط والدول المجاورة مثل "السعودية" و غيرها.

ارتبط "ناجي" بعلاقة طيبة مع أسرة زوجته، وأحب "يزيد" فكان بمثابة أخ له، لأنه عاش وحيدًا مع والده بدون أهل، ومع أهل زوجته شعر بالدفء والحب الذي كان يفتقدهم طوال عمره.

الفدائيين

تغير كل شيء فجأة عندما أعلن "النحاس" إلغاء "معاهدة 36" وفتح باب المقاومة، فجأة تحولت "هيروبولس" إلى معسكرات قتال بين الفدائيين و قوات الاحتلال!.
لم تعد المدينة الهادئة تنعم بهدوئها المعتاد، جميع القوى الوطنية جاءت تأخذ دورها في المعركة الوطنية، كان الوضع قاسياً على وزارة الداخلية التي تحولت بعد إلغاء المعاهدة إلى عداء القوات الإنجليزية، بعد أن كانت تحمي الإنجليز من عمليات الفدائيين من وقت لآخر، وجد "يزيد" نفسه يشارك في عمليات مقاومة الإنجليز ومعه جهاز البوليس الشريف، واستطاعت المقاومة أن تنفذ عددًا من العمليات البسيطة شديدة التأثير باستخدام "كور النار" واغتيال بعض القادة، دفع "يزيد" ثمن هذه العمليات فقدانه عدداً من أصدقائه الذين أحبهم.
**
لم يعد أحد من أصدقاء "عزيز" يذهب إلى سهرات "لوكاندة بلير"، أصبحت السهرات مملة بسبب تغير الوجوه المعتادة على السهر، لم يعد "عزيز" يستطيع أن يضحك كما كان يفعل في الماضي، بالرغم من أنه عثر على حبيبته إلا أنه اكتشف أنها ليست بالجمال الذي كان يتخيله، اكتشف أنها لا تختلف كثيرا عن "فاطمة"!، نفس تصرفاتها الغبية.. "في الحقيقة لم أعد أشعر بالسعادة.. أشعر أن السعادة سراب غير حقيقي..لست تعيسًا مع "كريستين" ولكني لست سعيدًا مثلما كنت أتخيل..قضيت عمري بأكمله أحب "كريستين" وعندما أتمكن منها وأمارس معها الحب أشعر أنها عادية".

دخلت "كريستين" فقطعت حبل أفكاره، نصحته أن يترك الشرفة فالجو بارد، وعندما دخل "عزيز" وجد الشموع والطعام الفرنسي مع أغنية لـ "أم كلثوم"، "كريستين" ترتدي بذلة رقص مصرية حمراء و تهتز مقلدة الراقصات المصريات، علت ضحكاتهما بسبب عدم تمكنها من الرقص الشرقي، غيرا الاسطوانة ورقصا "التانجو".
- "إنتي كده أحلى بكتير".
- "هي فاطمة كانت بترقص شرقي؟؟".
- "لا.. إنتي بتضايقي لما بتسمعي سيرتها؟.

- "طب ما إنت كمان بتزعل لما تسمع سيرة ميشيل!".

**

أبت الليلة أن تمر بسلام، فقد أصيب "يزيد" في القسم الذي شهد بعدها عمليات هجوم شرسة من المحتل الإنجليزي، تصدى لها "يزيد" و باقي الضباط الوطنيين بكل قوة، حتى استشهد زملاؤه، وعرف أن الضباط في "الإسماعيلية" قرروا أن يُستشهدوا قبل أن يدخل عسكري إنجليزي واحد للقسم، و بالفعل استشهدوا جميعًا، زاد الحماس لهيب الجنود في القسم، وتملكتهم رغبة في الانتقام لزملائهم وأصدقائهم الذين دفعوا حياتهم في سبيل رفعة الوطن، أثناء المواجهات الشرسة أصيب "يزيد" لكن لم يدخل عسكري إنجليزي إلى القسم.

من حكمة القدر أن ينقذ "يزيد" طبيب إنجليزي كان صديقاً لوالده "عزيز"، أحضره "عزيز" من على السفينة التي كادت تغادر الميناء وطلب من القبطان تأجيل سفر السفينة، فجاء الطبيب وأنقذ "يزيد"وسافر بعدها، كانت إصابات "يزيد "خطيرة وتحتاج إلى جرّاح ماهر، حزن "عزيز" على سفر صديقه الطبيب، لكنه حمد الله سبحانه وتعالى أن الموضوع تم في السر،

وجد "يزيد" كل عائلته إلى جواره زوجته...أبناؤه..أخته "شيماء"..وزوج أخته الذي اعتبره "يزيد" أخًا آخر له، حتى "كريستين" زوجة أبيهم أصبحت واحدة من العائلة، وما حدث في البداية من حزن من أبيه لعدم احترامه ذكرى أمه، سرعان مازال بعد أن وجدها تشاركهم أحزانهم وأفراحهم.

**

ذات يوم عاد "ناجي" من العمل فوجد "ماجي سمحون" تزور زوجته، لم يكن "ناجي" يحبها أو يحب والدها، وعندما طلب من "شيماء" أن تبتعد عنها رفضت بشدة وتشاجرا، تسببت المشاجرة في غضب "شيماء" وذهابها لبيت والدها، لكن ناجي لم يرض أن يتركها تمضي يوما واحداً بعيدة عنه، فذهب لها في نفس اليوم، أحيانًا تشعر أنه يحبها جدًا، وأحيانًا أخرى تشعر أنها مجرد زوجة تقاسمه الفراش ليلاً.

**

تعافى "يزيد" و عاد مرة أخرى إلى عمله، وتمت ترقيته نتيجة لشجاعته النادرة، الكل ينظر له على أنه بطل ويقدر شجاعته، كان يبتسم عندما يتذكر أن الذي أصابه ضابط إنجليزي والذي عالجه طبيب إنجليزي صديق والده.."هناك

العديد من الأمور الإنسانية تفرض نفسها بعيدًا عن جنسيتك و ماهيتك.. إن الإنسان من أصل واحد وهو الذي صنّف نفسه ووضع الحدود واللغات".. عاد "يزيد" بعد فترة يتجول بفرسه في شوارع "هيروبولس"..وكان سيره في الطرقات يبث الأمان في نفوس الشرفاء و الخوف في نفوس المجرمين.

**

انتهت الحرب العالمية الثانية بعد أن نتج عنها 70 مليون ضحية من البشر، الجميع في "لوكاندة بلير" حزين على الطريق الذي يسير فيه العالم بعد استخدام القنبلة النووية وإبادة "هيروشيما" و"ناجازاكي"، شعر الجميع أن نهاية العالم اقتربت، وأن العالم قادر على تدمير نفسه ذاتيًا، كما حزنوا أيضا على رحيل صديقهم اليهودي "سمحون" تاجر الذهب وعائلته وذهابهم فجأة إلى "فلسطين".

عندما وجدوا محله مغلقًا وذهبوا له البيت أخبروهم انه رحل، وتعجبوا كيف يرحل دون أن يودعهم، الأصدقاء بدأ يتخطفهم الموت والعودة إلى بلدهم بسبب ظروف الحرب.

**

شاهد أهالي "هيروبولس" القوات المصرية المتجهة إلى "فلسطين" لتطرد الجماعات اليهودية التي احتلت المنطقة، فكان الفدائيون والجيوش العربية وحركة الإخوان المسلمين الكل يتحرك نحو "فلسطين"، كانت شوارع "هيروبولس" في حالة فرح شديد عندما كانت تودع الجنود، كما ذهب عدد من أهلها للمشاركة في نصرة الإسلام، فـ "فلسطين" تعتبر بالنسبة إلى "مصر" منطقة أمن قومي، فإذا نظرنا إلى الخريطة و تصورنا أن "مصر" زجاجة فإن "فلسطين" هي غطاؤها الذي يربط "مصر" بالشمال.

بعدها بأيام هربت الجيوش العربية وتركت جيوش "مصر" تواجه مصيرها بمفردها!.

شهدت "هيروبولس" عودة الجيوش مهزومة مقهورة نادمة، إن الجماعات الصغيرة أفضل منا وأكثر منا احترامًا لرغبتهم وأهدافهم وعقيدتهم ولا يخدعون أنفسهم بشعارات كاذبة!.

**

ورث "زكي" عن أمه "صفية" العيون الزرقاء، لكنه لم يتمتع برعايتها فترة كافية، فقبل أن تكمل العام حملت مرة أخرى، عانى "يزيد" من مشكلة طفله

"زكي" وحمل زوجته مرة أخرى، فكان غالبا ما يترك رعاية ابنه لأخواته، فكانت خالته ترضعه مع طفلها، اطمأن "يزيد" لمجيء ابنه "عادل"، وبعد إنجاب "صفية" لـ "عادل" أحضر يزيد "عِجلاً" وقام بذبحه إرضاء لله سبحانه وتعالى بعد أن رزقه بطفلين، كانت فرحة "يزيد" بالأطفال غير عادية، إن إحساس الأب يختلف كثيرًا عن إحساس الشخص العادي، فعليه الآن أن يعمل من أجل ضمان مستقبل باهر لهم.

الثورة

استيقظت "مصر" على خطبة في الراديو تعلن قيام حركة للجيش تعمل على تطهير الجيش من عناصره الفاسدة التي أدت إلى هزيمة "مصر" في حرب "فلسطين"، توالت الأحداث وتنازل ملك "مصر" "فاروق" عن العرش لولي عهده الأمير "أحمد فؤاد" على أن يتولى سلطة البلاد مجلس الوصاية على الملك "الرضيع".

في جلسة عائلية في بيت "عزيز" أبدى "ناجي العلوي" زوج ابنة "عزيز" أفندي تخوفه من حركة الجيش بينما كان "يزيد" مؤيدًا لها.

- "يزيد":"مفيش حاجة تخليك تخاف".
- "ناجي": "ولكن الصورة غير واضحة".
- "يزيد": "أحب أطمئنك إن الضباط أشرف مما تتصور..وقد عرضوا حياتهم للخطر من قبل..ليس من أجل مال ولا سلطة..هم فقط يتمنون النهضة والتطور للجيش..و أعتقد أن الحركة لن تزيد عن عدد من الإصلاحات".
- "ناجي": "أنت ضابط لازم تقول كده و تدافع عن زملائك".
- "عزيز": "إيه يا أولاد انتم جايين تتخانقوا ولا إيه؟؟"

غيّر "عزيز" أفندي محور الحديث، واقترح عليهم الذهاب للسهر في "لوكاندة بلير".
كان "عزيز" يحب أن يتذكر أيام الماضي، ولكن عندما ذهبوا وجدوا الفندق مغلقًا، عاد الجميع إلى البيت ماعدا "عزيز" الذي ذهب إلى الخواجة "بلير" فأخبره أنه يهم بمغادرة "مصر" فالوضع غير مطمئن والأجانب كلهم يجهزون أنفسهم للرحيل، حزن "عزيز" بشدة ولم يذهب إلى "لوكاندة بلير" مرة أخرى.

**

أبدى "ناجي العلوي" قلقه على نفسه وتجارته وأبنائه وأحس بإمكانية حدوث قرارات تأميم، فتخلص من تجارته بالخسارة، وقام بتهريب أمواله خارج

"مصر" وسافر إلى "السعودية" بحجة متابعة أعماله هناك، و من "السعودية" رحل إلى "الولايات المتحدة" ومعه زوجته "شيماء".

استقرت "شيماء" مع زوجها في "لوس أنجلوس"، عاشت حياة مختلفة تماما عن حياتها في "مصر"، في البداية وقفت اللغة عائقًا أمامها، لكنها مع المعايشة استطاعت أن تكتسب اللغة نطقاً.

**

رُزق "يزيد" بطفل ثالث، اختارت له صفية اسم "نور"، عاش "نور" طفولة هادئة بعيدًا عن المنافسة القائمة بين "عادل" و "زكي"، كما ورث عن أمه العيون الزرقاء، كان "يزيد" يميل إلى "عادل" لأن "زكي" كان مخادعًا وشقيًا ومتأخرًا دراسيًا، عكس شقيقه "عادل" الأكثر التزامًا.

ذات يوم كان "عادل" و"زكي" يلعبان الكرة، كسر "عادل" بطريق الخطأ "مزهرية"، في حين كانت "المزهريات" شيئًا مهمًا لا يجوز لمسه، وعندما جاء والده، أخبره كذبًا أن "زكي" هو من حطمها، مستغلاً شقاوة أخيه المعروفة عنه، أقسم "زكي" أنه بريء، لكن أحدًا لم يصدقه!، شعر بالظلم من الجميع، وظل يبكي طوال الليل، حاول "عادل" أن يخفف عنه ويعتذر له، ولكن دموعه لم تجف، وحتى عندما اعترف "عادل" لوالده بأنه هو من حطم "المزهرية" أنكر "زكي" و قال "أخي كاذب أنا الذي حطمتها كما ترون جميعا"!.

حاولت "صفية" لفت نظر زوجها إلى أن "عادل" ليس ملاكًا ولا "زكي" شيطان!، فهم مجرد أطفال يلهون ويلعبون، طلب منها أن تسامحه فهو لا يحب أن يضرب أبناءه، ولكن ظروفه النفسية القاسية التي يمر بها جعلته أكثر توترًا وقلقًا.

**

كان "ناجي" مشغولًا دائمًا بعمله، لا يهتم سوى بأمواله، وجعلته الغربة أكثر صرامة وحدة مع زوجته وأطفاله، أصبح يدخر كل جهده لجمع الأموال، تعرفت "شيماء" على عدد من المصريين والشاميين الهاربين من بلادهم، كانت تقضي معهم وقتًا ممتعًا، اقترب منها شاب شامي شديد الوسامة والرقة يعمل شاعرًا،

رأى فيها ما لم يره في امرأة أخرى، لم تستطيع أن تمنعه من أن يغمرها بمشاعره الرقيقة لأن زوجها بعيد، بعيد جدًا، ولا يشعر بوجودها أصلاً! حاولت أن تقترب منه، أن تمنحه جزء من مشاعرها، كانت في احتياج إليه، لكنه منهمك مشغول متخوف من أشياء لا يتحدث عنها، ودائما ما يضع مسدسًا تحت المخدة!

في صباح يوم، قابلت الشاب في غرفته، كانت جاهزة لأن تمارس معه الحب، لكنها ابتعدت في آخر لحظة، وقررت أن تعود إلى "مصر"، و بررت لزوجها عودتها بسبب خوفها على أبنائها من التأثر بالثقافة الغربية، و عادت "شيماء" إلى "هيروبولس".

**

، كان "ناجي" يعامل عائلتها على أنها عائلته، فلم يكن يعرف أهله في "الصعيد"، ووجد بين أهلها الدفء والأمان.

كل أول شهر تنتظر "شيماء" بلهفة وشوق خطاب زوجها، وعندما تمسكه بيديها تحتضنه وتندم على مغادرتها "الولايات المتحدة" وتركه، فهي تحتاج إليه، إلى رائحته، كانت تخاف أن يتزوج من أجنبية، وكان يطمئنها في كل رسالة أنه لا يحب غيرها، ولا يتصور غيرها، كانت تحاول أن تضع همها وحزنها في تربية أبنائها والاهتمام بهم.

**

رأى "عبد الناصر" ضرورة إنشاء مشروع قومي يحمي "مصر" من مخاطر الفيضانات ويساعدها على توليد كميات كبيرة من الكهرباء، وعندما أوقف "البنك الدولي" تمويل المشروع، جاء رد "عبد الناصر" بتأميم القناة، وكان من القرارات الجريئة التي لم يتوقعها أحد، لأن الوضع في القناة دولي وتأميمه يعنى الوقوف أمام العالم كله، ووقف "ناصر" مثل الفرسان يخطب من "الإسكندرية" و يعلن قراره، كان الجميع يسمع الخطاب، فالشوارع خالية وأعلن "ناصر" تأميم القناة.

توجه عزيز فورًا إلى مكتبه، وطلب من قوات الجيش الابتعاد عن الخزائن والأوراق، وسيخرج هو لهم كل شيء، بدون إتلاف وتخريب، اعتمدت القيادة على "عزيز" وتولى بعد ذلك مسئوليات ومناصب أعلى حتى استقر الوضع.

كان الفرنسيون و الأجانب يغادرون "بور توفيق"، طلب "عزيز" من القيادة أن تبقى زوجته لأنها زوجة رجل مصري.

أعلنت "فرنسا" و "بريطانيا" و "إسرائيل" عدوانهم الثلاثي على "مصر"، دكت طائراتهم مدن القناة الثلاثة فهاجر أهلها، ولكن آل "عزيز" ظلوا مكانهم، وكانوا أثناء الغارات يجلسون في الخنادق المخصصة للاختباء ولحماية من قنابل الطائرات.
"مصر" كلها تتحرك، الكل يتطوع للمقاومة، "هيروبولس" تستقبل أبناء من كل البلاد لحماية "مصر" من مخاطر العدوان، في غارة مسائية نزل آل "عزيز" إلى الخندق ماعدا الجد "عزيز" الذي كان يرفض النزول معهم، في الخندق رأى "زكي" "هبة" - ابنة عمته - بملابس النوم، حاول في البداية أن يغض بصره عنها، لكنه لم يستطع مقاومة جمالها، نظر حوله ليتأكد من عدم وجود أحد ينظر له أو لها، ابتعد زكى إلى نهاية الخندق ليتأملها، ومع الوقت أصبحت الصرخات بجواره ولا يشعر بها، أصبحت كل أحلام "زكي" تنحصر في "هبة".
انتهت الحرب سريعًا عندما تدخلت "أمريكا" و "الاتحاد السوفيتي" وطالبا بشكل حاسم أن تنتهي الحرب على "مصر"، و لم تستطع "بريطانيا" و "فرنسا" الوقوف أمامهما، بينما "إسرائيل" قد تعلمت الدرس و بدأت تتقرب من "أمريكا"، تراجع الجميع ورُفعت أسهم "ناصر" إلى السماء، وأصبح الزعيم الأسطوري في المنطقة العربية والإسلامية.

******

تعجب الجميع من حال "عزيز" فكيف يتم الاستعانة به بعد الاستيلاء على ممتلكاته ؟!!، وتعجب منه ابنه لموافقته على مساعدتهم..!!، وكان جوابه على استفسارات عائلته أنه لم يكن يومًا صاحب موقف سياسي، وخدماته لهم سوف تعوض، كما أنهم وعدوه بعودة ممتلكاته، إنها صفقة، كما أنه لا يستطيع أن يترك موقعه ومنصبه والقناة تحتاج إليه، الإدارة كلها انسحبت فجأة، و معنى انسحابه ترك الشركة للتجربة من غير أصحاب الخبرة!.

حاول "عزيز" أن يطلب من الضابط المسئول عن الجيش إعادة ابنه "يزيد" إلى الداخلية، ولكنه رفض بسبب انتماء "يزيد" إلى "الوفد" قبل الثورة، ومشاركته العلنية في الحزن على وفاة "النحاس".

**

مكاسب "عدوان56" كانت أكبر من خسائره، خرج منه "ناصر" زعيمًا عربيًا أسطوريًا، يشهد له الجميع بالكفاءة والحب، كل الأحداث أدت إلى ازدياد سوء حالة "كريستين"، اختلف جيران "كريستين" و"عزيز" بعد رحيل الأجانب، واحتل البيوت عدد من ضباط الجيش والموظفين المصريين، و بدأت الشوارع تتغير، والشرفات يلقون من عليها الورود والزهور، ويضعون بدلاً منها الثوم والبصل، وتحولت أسطح المنازل إلى عشش لتربية الدواجن والطيور، إن "بور توفيق" تتغير!، فحتى نادي الأجانب أصبح المصريون يذهبون إليه بالمحاشي والأطعمة الدسمة!، حتى الحديقة الفرنسية التي تحتوي على الأشجار النادرة، تحولت إلى حديقة شعبية، يأكل الناس فيها ويلقون بواقي أطعمتهم على الأرض!، تغيرت معالم المدينة بالكامل مما سبب حزنًا قاسيًا لـ "كريستين"، فاكتفت ببيتها و لم تعد تغادره إلا للضرورة!.

جيل الثورة

استطاع "عزيز" أن يحصل مرة أخرى على بعض ممتلكاته، مما قوى أسهمه في المدينة، تعب "يزيد" من ابنه "زكي" الذي كان متعثرًا في التعليم، وأنهى تعليمه بشهادة الدبلوم، و عمل في مصنع "الغزل"، رأت أمه ضرورة زواجه، فالجيران يشكون منه ومن تصرفاته مع بناتهم ومطاردته لهن من الشبابيك و في الشوارع!.

كان "زكي" شابًا وسيمًا، ورث عن أمه العيون الزرقاء، كما كان شديد الذكاء والجرأة، وكانت كل الفتيات تعجب به، عدا "هبة" ابنة عمته "شيماء" بالرغم

من مصادقته لأخيها "مصطفى"، أما هو فكانت تتملكه رغبة شديدة في أن يحصل عليها.
في الاجتماعات العائلية كانت "هبة" تشعر بعينيه وهما تتفحصانها وتدققان في تفاصيلها، كانت تخاف من نظرة عينيه الزرقاوين، وكانت عيناه لا تعرف الخوف أو التردد!، كانت تخاف أن تفصح عن مخاوفها لأحد من العائلة حتى لا تسبب مشاكل بين أمها "شيماء" وخالها "يزيد"، كما أن أخاها "مصطفى" متسرع وشديد الغضب و "المطواة" لا تفارق جيبه، كما لا تفارق جيب "زكي"، وإذا أخبرته فسوف تحدث مجزرة في العائلة، فلاذت بالصمت.

تخرجت "هبة" من كلية "الآداب"، كانت تحب قراءة الروايات الرومانسية في حجرة الغسيل فوق السطوح بعد آذان العصر، وذات يوم بينما كانت تقرأ رواية "يوسف السباعي" الجديدة، صعد إليها "زكي" من الشارع، فلم يدخل شقته حتى لا يعرف أحد أنه عاد، وعندما شاهدها بملابس البيت، بهره جمالها و حاول أن يسمعها كلامًا معسولاً وعرض عليها سيجارة "حشيش"، وتصور أنه يستطيع أن يحصل عليها كما حصل على غيرها، لكن "هبة" كانت أزكى منه، وعندما أدركت الموقف خدعته واستطاعت النزول إلى شقتها مسرعة، وقررت يومها أن تبتعد عن السطح، لكنها لم تنس كلامه الجميل عن جمالها وجسدها، وبعد طول تفكير، قررت أن تقول لـ "صفية" زوجة خالها التي هدأتها وطلبت منها الصمت حتى تعيد حساباتها و تجد حلاً لابنها، كانت أمه تعرف كل شيء، لكنها لن تفضح ابنها!، فضغطت عليه بما تعرفه عنه من أسرار أن يرضى بالزواج من ابنة عمته، ابتسم "زكي" يومها وأخبرها بموافقته لأنه بصراحة حاول أن يحصل عليها فوق السطح فأبت، ذهلت أمه من وقاحته و جرأته، إنها لا تعرف من أين جاءت ألفاظه وأخلاقه السيئة!.
بعد أن حصلت على موافقة زوجها "يزيد" و أم "هبة"، رفض أخو العروس "مصطفى" زواج أخته من "زكي"، تعجب الجميع من رفضه لصديق عمره، وذهب "زكي" يومها ليقابل ابن عمته "مصطفى" وصديقه المقرب، وقال له رافضًا زواجه من أخته "هبة":
- "اسمع يا "زكي" ..أختي تستحق إنسان أحسن منى ومنك.. إحنا مجرد شباب صايع.. "هبة" بتصلي وبتحفظ قرآن.. وأنا بحذرك ..لو عملت حاجة لـ

"هبة" أنا اللي هدخلك السجن ..و هفضح كل عمليات تهريب القماش و بيعه في السوق السوداء".

**

كان "عادل" يشبه جده "عزيز" في الملامح و الطباع إلى حد كبير، وكان يعتبر نفسه واحدًا من أبناء "عبد الناصر"، وكان يشعر أن "عبد الناصر" هو البطل القادم من الظلام ليضئ "مصر" و الأمة العربية و يجعل لهم قيمة وشأنًا وسط العالم، وكان يدافع عن أراء "عبد الناصر" بشدة.
التحق "عادل" بجامعة "القاهرة" وكان أول من ترك "هيروبولس"في بداية التحاقه بكلية "التجارة"، اشترك "عادل" في لجان الإتحاد الطلابية التابعة للاتحاد الاشتراكي، وفي الاتحاد لفت نظره الفتاة الجميلة "سعاد".
كانت "سعاد" خمرية اللون، رقيقة وشقية، وكانت لها ابتسامة ساحرة تسحر عقل "عادل"، دائمًا تقول له أنه حاد أكثر من اللازم ويريد أن يرى كل شيء بوضوح مع أننا من المستحيل أن نفهم كل شيء!، كان يتذكر مقولة والده أنه يشبه عمته "نجلاء" في طبعها.
حصل "عادل" على شقة صغيرة في "المنيل"، ومع ذلك لم يرتبط عاطفيًا مع النيل، فكان دائمًا ما يشتاق إلى الوقوف أمام البحر، البحر يختلف عن النيل كثيرًا، كما كان يقول لـ "سعاد"، كان يتمنى أن تمشي معه على البحر وقت شروق الشمس، شعر أنها تعوضه حب الوطن كما كتب في أوراقه الخاصة، كتب أنه يشعر أنها وطن بمفرده.
كان "عادل" يحب السهر في مقاهي وسط البلد وسط المثقفين، بينما كانت "سعاد" تحب السهر في أماكن الرقص، وكانت تحفظ كل أنواع الرقص، لم يكره "عادل" حبها للرقص وكان يشاركها كثيرًا في رقصاتها، لكنه كان يغضب عندما ترقص مع غيره، كان يكره حبها للمادة، فهي داخليًا لا تؤمن بمبادئ الاشتراكية، بينما كانت ترى أن قيمة الإنسان في رأسماله.

**

جاءت إلى "هيروبولس" فتاة رقيقة جميلة في الخامسة عشرة من عمرها، تبحث عن جدتها، إنها "سارة" حفيدة "كريستين"، عثر عليها "عزيز" أفندي وعرف منها خبر حادث السيارة الذي تعرضت له "مارتين" و زوجها، و أدى

إلـى وفاتهمـا، حـاول "عزيـز" إقنـاع الفتـاة ألا تخبـر جدتهـا بالحقيقـة لأنـهـا لـن تتحمـل الخبـر، ولكـن عنـدما قابلـت "كريسـتين" حفيـدتها رأت فـي عينيهـا كـل شيء، وعرفت ما تعرضت لـه ابنتها، فهناك أمور تنتقل بدون حوار!.

كانت الصدمة قاسية جدًا على "كريستين"، حاول الجميع التخفيف عنها، ولكن الصـدمة كانـت أشـد، رأت أن غيـاب ابنتهـا كـان أفضـل بكثيـر مـن رحيلهـا عـن الحياة، على الأقل كان هناك أمل أنها قد تعود، رأت في "سارة" أملًا جديدًا جاء ليعوضها فقدان ابنتها.

**

سـافر "عـادل" و "سـعاد" - خـلال إجـازة نصف العـام- فـي رحلـة مـع الجامعـة لمدينتي"الأقصر"و"أسوان"، وفي الرحلة، اقترب منها أكثر، وقضى أجمل أيام حياته.

كان يستيقظ صباحًا فلا يتحدث مع أحد حتى تتحدث معه ويسمع صوتها، وكان يتجنب كل من يحاول الحديث معه حتى يسمع صوتها، عرف معها الحب بين معابد الأجداد، المعبد يبعث بداخله الرهبة والعظمة، بينما "سعاد" تبعث بداخله الهدوء والاطمئنان، إنها أجمل خمسة عشر يومًا شهدها منذ مجيئه إلى الدنيا، الشـيء الوحيد الـذي كـان يبعث بداخلـه القلق هو هروب "سعاد" من سؤاله المتكـرر هـل تقبـل أن تعـيش معـه فـي "هيروبـولس"؟!، هـل تقبـل أن تتـرك "القاهرة" الواسعة؟!، كانت أغلب إجاباتها أنها تشعر أنه قاهري يجب أن يكمل حياته في "القاهرة".. فـ "القاهرة" بها كل شيء.

**

كان السؤال الذي يشغل بـال "سارة" لمـاذا رفضت جدتها زواج أمها من شاب مسلم، ومـع ذلـك تزوجـت هـي مـن "عزيـز" المسلم ؟!، وعنـدما سـألت جـدتها "كريستين" تعجبت من السؤال و لم تعرف بم تجيبها؟!!، أعادت "كريسـتين" السـؤال علـى نفسـها، واكتشـفت لأول مـرة أنهـا لـم تفكـر فـي "عزيـز" علـى انـه مسلم عندما تزوجته، فهي عندما أحبته، لم تفكر في ديانتـه، فكرت فيه كإنسان فقط!!.

**

تـزوج "زكـي" مـن "هبـة" ابنـة عمتـه "شـيماء" و أقـاموا فـي الـدور العلـوي، ومنذ الليلة الأولى استطاعت "هبة" أن تنظم حيـاة "زكي"، وأخبرتـه "إن تفعل

صوابًا تجد صوابًا..وإن تفعل خطأ..فسوف أبتعد عنك و لن أقول لك ما آلمني.. عليك أن تفكر وتعيد تفكيرك في كل تصرفاتك".

كانت "هبه" تعرف نقاط قوة و ذكاء زوجها، لكنه مثل الحصان يحتاج إلي لجام قوي يحدد له الطرق التي من الممكن أن يمشي فيها!.
كان جده "عزيز" يربط بين "زكى" و"نجيب" لفقدانه الأمل فيه، حتى فكرة زواجه من ابنة عمته جاءت للقضاء أو تقليل المشاكل التي كان يسببها للعائلة، وبالفعل استطاع الزواج أن يغير من "زكي" واستطاعت "هبة" أن تغير سلوكه وتجعله يستغل قدراته في العمل، كانت "هبة" ذكية وتعرف من أين يمكن لها أن تقود "زكي" و كيف تُدخل الأفكار الصعبة في رأسه بمنتهى السهولة!.
**

انتهت فترة الدراسة الجامعية وانتظر "عادل" النتيجة لسببين، الاطمئنان على مستقبله، والاطمئنان على حبيبته "سعاد" فهي غاضبة منه وترفض أن يقابلها، كان فقط يطمئن على أخبارها من صديقاتها، كانت "سعاد" ترى أن على "عادل" أن يتصرف، أن يترك "هيروبولس" ليعيش في "القاهرة" لذا عليه أن يوفر لها شقة فاخرة بها، لم يهتم بكل أحلامه عدا الحلم الذي تمثله هي، وهو فقط يريد أن يقابلها و يتحاور معها، قد يستطيع أن يجعلها تتراجع بعض الشيء عن أحلامها، إنها تستمتع بغزله لها وحكاياته وأفكاره لكنها ترفض أن تقابله، ترفض أن تستمع لكلامه، وهو بحاجة لها، بحاجة للشعور أنها بجواره، لم يعرف سر رفض "سعاد" لـ "هيروبولس" وحجتها أنها مدينة صغيرة عكس العاصمة الساهرة العامرة الواسعة.
يوم ظهور النتيجة، قابلها، كانت تعلم أنه سوف يتحدث إليها، فارتدت فستانًا رائع الجمال مما أبهر "عادل" وجعله يتفحصها ويركز فيها أكثر من تركيزه في كلامها وأفكارها، إنها باختصار تعلن انسحابها من لعبة الحب، فما كان بينهما مجرد صداقة ساعدتهما على المذاكرة.
جلسا في "كافيتريا" على شط النيل يتحدثان، وعدته في نهاية اللقاء بمقابلة أخرى تحسم فيها أمورها، و أخبرها أنه يجهز أوراق تجنيده.
**

كانت "نجلاء" في حالة حزن وقلق، بعد وفاة ناظرة المدرسة وانتظارًا لمجيء الناظرة جديدة، فهي تقلق من التعامل مع الشخصيات الجديدة، خاصة أنها

سوف تعمل تحت إمرتها، تبددت كل مخاوفها عندما جاءت الراهبة "تريز"، كانت جميلة وبسيطة تميل إلى الهدوء والسكينة.
عشقتها "نجلاء" من أول لحظة وتمنتها لنفسها لذا بدأت تتقرب إليها، لكن الراهبة "تريز" كانت شديدة التدين و بعيدة كل البعد عن متنزهات الحياة كما كانت "نجلاء" تفهم جيدًا، ورأت فيها إنسانة صالحة لذا تركتها بدون إيذاء أو عقاب وعملت على مساعدتها.

الهزيمة

عاش الرئيس "عبد الناصر" ومن حوله في حلم عظيم، انهار على رءوسهم جميعًا بعد هزيمة 67، كانت الهزيمة قاسية على الجميع حيث سبقتها وعود

بالقضاء على "إسرائيل" وطردها من "فلسطين" خلال ساعات!، وتم إعلان ميعاد الحرب قبلها بأيام، وأذيعت بيانات كاذبة في الراديو عن انتصاراتنا الوهمية!، والحقيقة أن قواتنا هُزمت قبل أن تحارب، حيث تم ضرب الطائرات في قواعدها!.
كانت هزيمة 67 من أكبر الهزائم التي مرت بالشعب المصري، فالشعب كان يعيش وهمًا كبيرًا واستيقظ على حقيقة قاسية هي أننا أضعف بكثير مما نتخيل!، فنحن لا نملك سوى الكلام والشعارات الجميلة، إننا لا شيء، إننا فقط مرددون جيدون لعدد كبير من الأغاني الحماسية التي ينشدها "حليم" في المناسبات الرسمية و غير الرسمية!
حلّت الهزيمة على الجميع كالصاعقة، تمَسَك الناس بـ "عبد الناصر" بعد قراره بالتنحي، فلم ين هناك غيره يمكن أن يثقوا فيه، وجاء قرار الهجرة الجماعية لأهالي القناة، كانت الهجرة قاسية جدًا على مدينة "هيروبولس"، عربات النقل تأخذ الناس بشكل عشوائي لتتركهم في أي مدرسة أو أي مكان يقيمون فيه، لا يوجد وقت لجمع أي شيء، قرارات الإخلاء سريعة، "إسرائيل" تضرب بالطيران، سوف تضرب المدن وتقتل المدنيين فهي لا تفرق بين المدنيين والعسكريين!، لم يعد المهم جمع الأموال أو الذهب، المهم هو الهروب بالحياة من المدينة المهجورة.

**

في صحراء "سيناء" تعالت صرخات الجندي "عادل" لكن لم يسمعه أحد، أخذ يصرخ يومها ثائرًا في وسط الصحراء "أين كلامك يا عبد الناصر ؟..لم أر أمامي جنديًا لأقاتله ..أنا لم أحارب .. الخائنون باعوا البلد يا "عبد الناصر" ..باعوا البلد يا "عبد الناصر""!!.
سقط "عادل" من حرارة الشمس وقد أصابته قذيفة في قدمه وسط جثث الشهداء على رمال "سيناء"، كتب الله لـ "عادل" النجاة، وكانت الطائرات الإسرائيلية تحصد أرواح باقي الجنود، الهزيمة كانت مخيفة وأوامر الانسحاب بدون خطة أو ترتيب!، استيقظ "عادل" ليلاً وتحامل على نفسه ليكمل سيره، ولم يكن يفكر في شيء سوى محاولة الهروب من الموت المحقق، حتى وصل للقناة ليجد صيادًا شريفًا يساعد الجنود على الانتقال إلى شط "هيروبولس"، و فور وصوله تم إسعافه ونقله إلى المستشفى العام و هناك عرف خبر التهجير!.

**

اكتفى "يزيد" بوحدته وخاف أن يدخل السجن مثل أصدقائه الوفديين، فجلس في البيت حتى هزيمة 67 كان يتوقعها!، وقال يومها "لابد من الهزيمة فهي نهاية الظلم.. إذا انتشر الظلم فلننتظر الهزائم"، بعد الهزيمة هاجر "يزيد" وأسرته وأخته وأسرتها و "سارة" حفيدة "كريستين" في سيارة أجرة - كان ميسور الحال- ذهب في البداية إلى شقة ابنه في "المنيل" بينما رفض الجد "عزيز" وابنته "نجلاء" مغادرة "هيروبولس"، وظلت "كريستين" مع زوجها "عزيز".

**

في سرية تامة جاء الرئيس "عبد الناصر" في جولة صغيرة إلى "هيروبولس"، كان يسير وحيدًا بقميصه الأبيض شاحب الوجه يرتدي نظارته الشمسية التي عندما كان يرفعها من على عينيه يظهر لمعان الدموع فيهما كلما رأى الخسائر، كان يتجول في المدينة و يرى آثار الدمار دون أن يتحدث مع أحد ولا أحد يتحدث معه!، حاول الكثير من أهالي "هيروبولس" أن يتحدثوا معه، لكن صدمة رؤيتهم للرئيس المهزوم بدون حراسة شلت تفكيرهم فلم يتحدثوا إليه!، حتى عندما سار بجوار سرير "عادل" يتفقد أحوال الجنود، لم يستطع "عادل" التحدث إليه، وخيل إليه أنه يحلم! جاء "ناصر" ليرى ما فعلته سياسته، ويرى ما فعله وزراؤه وصديقه "عبد الحكيم عامر"!.

ظل "عادل" في مستشفى "السويس" العام شهرًا ثم عاد مرة أخرى للجيش، أحس "عادل" أنه يستيقظ من وهم صدقه لوقت طويل بكونه جنديًا في الجيش الذي لم يحارب!، لم يعد "عادل" يؤمن بأفكار "ناصر"، رأى كل شيء كما كان والده "يزيد" يراه!، اتجه للقراءة وابتعد تمامًا عن أفكار "ناصر" وأصبح يسخر منها!.

***

هاجر "زكي" مع أبيه "يزيد" وعاش معه في نفس الشقة بـ "المنيل" حتى تم فتح باب التقديم في مدينة سكنية جديدة أطلقوا عليها اسم"مدينة نصر"، وقدم على شقة صغيرة، عكس شقة أبيه "يزيد" لأن الشقق كانت توزع حسب عدد أفراد الأسرة.

انتقلوا جميعا إلى "مدينة نصر" بعدما تم توزيع الشقق على المهاجرين، وكانت "مدينة نصر" إحدى مشاريع المستثمر المصري "عثمان أحمد عثمان"، ولكن

الظروف حتمت أن تتحول إلى مساكن للمهاجرين، فـ "عبد الناصر" لن يتخلى عن شعبه و يتركه ليعيش في الخيام، المفارقة كانت في الاسم فـ "مدينة نصر" كان يسكن فيها "المهزومون"..!!

كانت "مدينة نصر" لا تزال صحراء، ولا يوجد فيها محلات أو شوارع، وحتى الخبز كان هناك رجل يأتي بعد المغرب ليبيعه على دراجة بسيطة، تعب "زكي" في بداية سنوات الهجرة، وكان يتنقل من عمل لآخر، فهو يشعر أن الأعمال التي يزاولها في مصنع السكر أو مصنع الصابون كلها أعمال يدوية بسيطة، ساعدته زوجته "هبة" أن يجتاز المرحلة، وكانت تمنح له الصبر والحب كل ليلة، كان معها يشعر بالأمان والراحة، وكانت تقول له أن قدراته أعظم بكثير من الأعمال التافهة التي يقوم بها، ولكنها الظروف التي يمرون بها، فهي صعبة على الجميع، كان دائما يتخلص من همومه معها في الليل ليبدأ يوم جديد، ولم يقلقه تأخر إنجاب زوجته، فقد كان ما يزال يشعر أنه ليس بحاجة ليصبح أبًا ويكتفي حاليا بدور العاشق الزوج فقط.
اطمأن "مصطفى" على أخته "هبة"، وكان سعيدًا بالتغيرات التي حدثت لابن خاله "زكي"، فقد تحول "زكي" لشخص آخر، عاش "مصطفى" مع أمه و خاله يعمل في أعمال بسيطة وافتتح "كشكًا" صغيرًا أمام العمارة بالقرب من مسجد "رابعة العدوية" القريب من شقة خاله، كان يبيع فيه السجائر ومنتجات الأطفال، وكانت السجائر سوقًا تجاريًا جيدًا جدًا، خاصة في منطقة خالية من المحلات.

**

لم يكن من الممكن لمدينة "هيروبولس" أن تستسلم مهما حدث، فهي قادرة على تجديد دمائها ونبذ الفاسدين، وفي وقت الأزمات يظهر الشريف من الفاسد والنبيل من المدعي، إنها مدينة خالدة غريبة ترفض الاستسلام أو الخضوع، البحر والجبل المحاطة بهما جعلا من يعيش فيها ويشعر بطبيعتها يكتسب شخصيتها كما تُكسِبه قوة فريدة، وعلى مدار تاريخها لم يدخل محتل عن طريقها، لا "الهكسوس" ولا "الصليبيون" ولا "الإنجليز"، فهي ليست بوابة للاحتلال مثل "الإسكندرية"، المدينة المشئومة سهلة المقاومة والخضوع، والتي كانت أغلب المعارك بها تنتهي بهزيمة المصريين!.

رفض "عزيز" أن يغادر "هيروبولس" وظلت معه "كريستين" التي رفضت أن تترك المدينة التي عاشت فيها أجمل سنوات حياتها مع أحبابها، لقد عشقت "هيروبولس" بكل ملامحها و شوارعها، عشقت رؤية الصيادين وهم يغزلون شِباكهم على الشط، عشقت الجو المعتدل طوال العام، وكانت تسترجع ذكرياتها على شط الأجانب الذي كان محرمًا على العامة فلا يدخله سوى الأجانب والمصريين المتحررين، لها على أرض "هيروبولس" ألف ذكرى فكيف تترك ذكرياتها وترحل..؟!!

بقي معها في "هيروبولس" زوجها "عزيز" وابنته "نجلاء"، عاش "عزيز" معها في "الفيلا" في "بور توفيق"، بينما كانت "نجلاء" تقيم في المدرسة بعد احتراق بيتهم، ورفضت أن تعيش مع "كريستين" رغم محاولات "عزيز" و "كريستين" معها، فكانت ترفض تدخّل الجميع في حياتها، كانت "كريستين" تحترم في "نجلاء" اعتزازها بذاتها.

**

كان الباقون في "هيروبولس" يكنون احترامًا لـ "عزيز" الذي كان يعتبر نفسه أبًا لكل رجال المقاومة، وكان ابنه "يزيد" يطالبه دائمًا بالرحيل، ولكن إصرار "عزيز" كان أقوى من عناد ابنه، تغير حاله ولم يعد يذهب إلى "لوكاندة بلير"، أصبح يسهر في حفلات "السمسمية"، يحفظ أغانيهم ويغنيها معهم، كانت أغاني "السمسمية" تحفز الجنود والفدائيين على المقاومة ورفض الهزيمة، تعرف وقتها على اثنين من شباب الشعراء الواعدين من بلدة "أبنود" الصعيدية "عبد الرحمن" و "غزالي"، وأحب سهراتهم.

"حسك .. تناقش
أو تسأل ..سؤال
و تجيب سيرة الخلاص
و الحرب و القتال
ملعون أبوك.. وسينا
صدقنا ما نسينا
يونيو والرجال
هو القتال قتالك
م تتنيل وتسكت
و تربي العيال"

****

كانت حياة "عزيز" و "كريستين" مستقرة إلى حد كبير، عشق "عزيز" "هيروبولس" بهدوئها وسكونها بعد أن هاجر أهلها وجاء لها الفدائيون من كل أنحاء "مصر" ليدافعوا عنها، في صباح أحد الأيام استيقظ "عزيز" و "كريستين"على جرس التليفون، كانت المكالمة لـ "عزيز" من "موسى" - ابن صديقه وجاره السابق "سمحون" تاجر الذهب - وصديق "يزيد" في الطفولة يخبره أنه عاد إلى "مصر"، ولما كانت جميع خطوط التليفونات تحت المراقبة، أدت مكالمة "موسى" لاستدعاء "عزيز" من قبل أمن الدولة بعد المكالمة بساعات بتهمة التجسس لحساب "إسرائيل"..!!

انفعل "عزيز" صارخًا "كيف أكون جاسوسًا وابني في المقاومة وحفيدي في الجيش؟..لقد خدمت ذلك الوطن بدون مقابل؟ ..وانتم ما حكمتمونا إلا غصبًا و رأينا على أيديكم هزائمنا ؟ ..اتركوني أو اقبضوا علي ؟.. فالويل لمستقبل البلد منكم ؟ أيها الأغبياء ؟"

تم الإفراج عنه بعد إثبات حسن نواياه واثبات أن لا ذنب له.

كانت المكالمة حقاً غريبة، فكيف يتخيل أنه سيفرح بعد أن رحل كصديق وعاد كعدو قاتل!، حاول "موسى سمحون" أثناء المكالمة تبرير أنه ليس له علاقة بالسياسة، وأن السياسيين يتخذون قرارات الحروب مثلما يشعلون السيجار!، وأخبر "عزيز" أن عليه أن يبعد العلاقات الإنسانية عن الأحداث السياسية والمعتقدات الدينية، فكر "عزيز" في كلامه ولكنه لم يقتنع به وهو يرى الدماء والجثث في الشوارع طوال الوقت.

علم "عزيز" أن سبب خروجه وسير الإجراءات في صالحه كان تدخل الضابط رئيس الهيئة والذي يملك خط اتصال بالرئيس "جمال عبد الناصر"، مما أرغم أمن الدولة على تركه، و تقديم اعتذار عما بدر منهم في حقه.

******

فضّلت "نجلاء" أن تبقى في المدرسة وحصلت على دورات في التمريض، ثم لم تلبث أن عملت به، وساعدت الكثير من المرضى و الفدائيين، وبالرغم من كونها حادة في تعاملها، إلا أن الجميع كان يحبها و يحترمها ويحترم العزلة التي فرضتها على نفسها، كان الأهل فقط هم الذين يعرفون حقيقة معاناة "نجلاء" التي كانت تتخلص منها بانشغالها بأعمال إنسانية لنبذ الشر من داخلها كما كانت ترى، علمتها الراهبة "تريز" - بعدما حكت لها عن معاناتها و

ميلها للنساء عن الرجال وشعورها نحوهم بأنهم كائنات مشوهة متعجرفة - أن تستمر في العزلة، و تتقرب من الله سبحانه وتعالى علَّه يرحمها ويغفر لها خطايا حواسها، وكانت "نجلاء" تقاوم شرور نفسها بالصلاة وحفظ القرآن، كانت الراهبة "تريز" تسألها باستمرار أن تنتهي من حفظ القرآن.
لم يتعجب أحد من تصرفات "تريز" وتشجيعها لتلميذتها على حفظ القرآن، إن اقتراب الإنسان من دينه يمنحه الشعور بالراحة والدفء، التوراة والإنجيل و القرآن يدعون جميعاً إلى الخير، ونحن في حاجة دائمة إلى الخير.
**

لم يعد "عزيز" إلى حالته الطبيعية منذ استدعائه في أمن الدولة، فما تعرض له من مهانة كان يفوق طاقة البشر على التحمل، كان يحادث نفسه "كيف يتجرأ أحد ويتهمني بالخيانة.. أنا الذي أخلصت لعملي ووطني في كل الأوقات ووقفت معهم أيام التأميم"، اقتربت منه زوجته "كريستين" ومنحته قدرًا من حنانها وعطفها، هي متأكدة أنه في حاجة إليها حتى تعود له ثقته في نفسه، وأرسلت في طلب ابنه "يزيد" ليقف بجوار والده أثناء المحنة الصحية والنفسية التي يمر بها، كثيرًا ما كانت تنتاب "عزيز" حالات عدم توازن.
**

أحب "يزيد" الحياة في "مدينة نصر" لكنه كان يشعر أن هناك شيئًا ما ينقصه، كانت تنتابه أحاسيس مختلفة تجاه وطنه، لقد تعرض للظلم والفصل التعسفي من عمله بسبب حبه "للنحاس"، وهل حب "النحاس" جريمة ؟ أليس النحاس زعيم الأمة ؟؟، ماذا خسر الوطن عندما شارك في جنازة رجل يحبه؟، رجل - في رأيه - عاش مخلصًا ومات شريفًا مدافعًا عن وطنه، إنه يعيش في سجن منذ وصول الضباط إلى السلطة، ولكن سجن في بيته، لا يستطيع أن يعمل، لماذا لا يعود ليعيش مع أبيه في "هيروبولس"؟!، فكر أنه من الممكن أن يجد له دورًا أخيرًا في المدينة الأخيرة؟، ماذا أخذ من وطنه حتى يدافع عنه ؟، هل الفدائيون و المخلصون أفضل منه ؟!، "كريستين" الفرنسية أتحب بلده أكثر منه؟!،عندما وصله جواب أبيه حسم الأمر و قرر العودة.
قال يزيد لزوجته "إنها بلدنا وليست بلدهم..من يتعرض لويلات الحروب والتشريد هم الشعوب.. وليس للساسة والكبار أي علاقة ..فهم في كل الأوضاع يعيشون أفضل من شعوبهم...سأعود وأحاول أن أفعل ما يرضي ضميري..عليكِ أن تتصرفي كرجل..أعلم أني أحملك أكثر مما ينبغي و لكن ذلك قدرك..".

عندما وصل "يزيد" إلى "هيروبولس"، كانت المدينة كلها مدمرة ومظلمة، نوافذها سوداء، والطائرات والمدمرات الإسرائيلية تقذف المدينة طوال الوقت، أغلب بيوت المدينة مهدمة وباقي بيوتها الخشبية مشتعلة، اكتشف أن والده "عزيز" تعرض لحادث أثناء عودته لمنزله في "بور توفيق" حيث وقع في حفرة صنعتها قذيفة، وتم نقله إلى المستشفى العام، وذهبت له زوجه "كريستين" وأتى "عادل" في المساء، حكى يومها عن جده الكبير الذي كان من أبناء "هيروبولس" وانضم إلى جيش المسلمين و ذهب مع "عقبة بن نافع" حتى "المغرب" وعاش هناك في مدينة صغيرة تشبه "هيروبولس" تسمى "فاس"، وكون هناك عائلة، ثم عاد أحفاده مرة أخرى مع "عبد الله الغريب" كمحاربين، تغير اسم "هيروبولس" إلى "السويس" عندما صاح "عبد الله الغريب" "ادخلوها سواسية ترهبون أعداء الله"، أقام له أهالي "هيروبولس" مسجدًا يحمل اسمه ولقبوه بـ حامي السويس"، طلب "عزيز" من حفيده "عادل" أن يتزوج و ينجب أولادًا وبناتٍ حتى يستمر اسمه وتظل سيرته قائمة، كان يتألم كلما تحدث، ولكنه يشعر أنه آخر حديث له.

حكى عن أول يوم رأى فيه "كريستين" التي كانت شديدة الشبه بحفيدتها "سارة" في الملامح والجسم، تختلف عنها "سارة" في لون الشعر فقط، حكى أنه عندما شاهدها كان يريد أن يلتهمها، ولكن قوانين التحضر كانت تمنعه، راوده هاجس أنه سوف يتزوجها حتى بعدما اعترفت له بحبها لـ "ميشيل" لم يفقد الأمل، وحتى عندما تزوجته، كان هناك أمل غريب بداخله يقنعه أنها سوف تكون له في النهاية!.

إنه يفتقد صديقه "ميشيل" ويتمنى أن يسامحه، وإن كان متأكدًا أن الظروف هي التي فعلت بهم ذلك، فهو لم يخونه لأنه أحبها قبله، ولكن "ميشيل" فاز بها وتزوجها قبله.

كان يخشى على "نجلاء" من بعده، وأوصى الجميع أن يهتموا بها، ظل يتألم حتى صعدت روحه في فجر اليوم التالي، وكانت آخر كلماته تسبيح بحمد الله على نعمة الشهادة.

لم يلحق "يزيد" سوى بآخر كلمات أبيه، صاح ناظرًا لأبيه "لقد جئت من أجلك لأكون بجوارك يا أبي ؟ لماذا جئت أنا إذن ؟"

صلوا عليه بمسجد "الشهداء"، كان إمام المسجد الشيخ "حافظ سلامة" يعمل مع المقاومة، وكان الجميع يثقون فيه، ويعد مسجده مركزًا هامًا من مراكز المقاومة في "هيروبولس".

حزن الجميع على فراقه، و أقسم ابنه أن يأخذ بثأر أبيه من اثنين، "إسرائيل" لأنها سببت الحفرة، و أبناء وطنه الذين عذبوه بسبب مكالمة تليفونية من ابن صديق قديم، وتسببوا له في حالة عدم اتزان، دعا الله أن ينتقم من الظالمين ؟.

سلم نفسه للمقاومة الشعبية، و كان دوره في البداية إعداد الفدائيين والاستفادة من خبراته العسكرية كضابط سابق، شارك "يزيد" في عمليات المقاومة والتي استفادت منه بدورها نظرًا لخبرته العسكرية.

شعر بروح من الحماس لم يشعر بها منذ أن تخرج من كلية البوليس يوم بعد يوم، كان يسترجع كل خبراته التي ظنها توارت منذ تقاعد عن العمل أيام الثورة، قد يكون ذلك دوره الذي اختاره له الله منذ البداية لكنه لم يكن يعلم؟!

**

لم يلحق "نور" - الابن الصغير لـ "يزيد" - أمجاد العائلة قبل الثورة، واعتبر نفسه من أبناء "ناصر"، كان "نور" رقيقًا عذبًا يشبه الشعراء، أثناء الهجرة كان لا يزال طالبًا في نهاية دراسته الثانوية، انتقل إلى مدرسة في "العباسية" و أنهى دراسته الثانوية أثناء الهجرة، كان يتجنب الفتيات بشكل واضح كما كان يميل عقليًا إلى الشيوعية ويشعر أنها العدل والحق الوحيدين، كان يميل في بعض الأوقات إلى "سارة" حفيدة "كريستين" التي كانت معه في نفس التنظيم، كانت "سارة" تعيش في شقة عمته "شيماء" وتذهب إلى جامعة "القاهرة" معه، كما كانت تؤمن مثله بالأفكار الشيوعية وأن الناس متساوون وجميع المشاكل الموجودة سببها سوء توزيع الثروات، فلماذا لا يتساوى الفقير مع الغني؟، لماذا يستحوذ عدد قليل من الأفراد على ثروات الباقين، إن "الاتحاد السوفيتي" نموذج للمدينة الفاضلة، فالكل متساو بها لذا نهضت وحققت انتصارات ضخمة، والنهضة للعالم الثالث لن تقوم إلا بالشيوعية، كان "نور" يخجل أن يذكر أن والده كان من أصحاب الأملاك!.

عشقت "سارة" "نور"، أما هو فكان لا يشعر بها، وكانت تتعجب من عدم ميله إليها أو لأي فتاة أخرى، كان هو بدوره منشغلاً بالأفكار الشيوعية، ويرى فيها الخلاص من الظلم وبداية الحق، وكان يؤمن بأنه كلما زادت رفاهية الإنسان زادت حاجاته، حفظ كل كلمة كتبها "ماركس"، كما كان يرى أن على الإنسان

أن يحرر عقله من كل قيود الماضي، كما أن عليه مراجعة كل الأفكار والبدء من جديد.
جاءت وفاة جده صادمة للجميع، لم يتوقعها أحد، حزن الجميع ماعدا "نور" الذي كان يقول "كيف أحزن على إنسان لمجرد أنه أنجب أبي؟..ما هي فائدته ؟ ماذا فعل لي فكريًا ؟..أنا لم أجلس معه إلا قليلاً ..ولم أشعر ناحيته بحب مثلما تقولون"، طالبه أخوه "زكي" أن يخرج قبل أن يثير أعصاب أمهم بكلامه وأفكاره، وحدثه شارحًا "ليس كل ما تشعر به عليك أن تقوله..اترك رأيك لنفسك وافعل مثلما يفعل الناس..إذا رأيت الناس في فرح..افرح..وإن وجدتهم في حزن..حاول أن تكون أكثرهم حزنًا..بهذه الطريقة سوف تنال إعجاب ورضا الجميع..أنا أعرف أنك تسخر مني لأني لم أكمل تعليمي مثلك..و لم أقرأ 1% من مكتبتك الضخمة..ولكني نزلت إلى الحياة و تعلمت منها"، حاول "نور" أن يرد، و لكن "زكي" منعه واكتفى بما قاله.

في اجتماع تابع للتنظيم، حاولت "سارة" إنهاء مشكلتها و الاعتراف له بحقيقة مشاعرها، لم يجبها، وعندما احتوته، شعر بالدم يجري في كل عروقه حتى كاد رأسه ينفجر، فاحتواها بشدة، وعندما سيطرت عليه الرغبة، ذهب بها إلى شقة صديق له ترك لهم شقته، وهناك تبادلوا الحب.
لم تلحظ "شيماء" تأخر "سارة" بسبب حزنها على أبيها، بعد أيام تم القبض على التنظيم، وكان "نور" من بينهم، بينما ظلت "سارة" حزينة في حجرتها، حاول الجميع البحث عنه، فلم يجدوا له أثرًا في أقسام الشرطة ولا المستشفيات، وفضّلت "سارة" أن تصمت ولا تذكر أمامهم كلمة التنظيم الشيوعي، حتى لا تتحمل جزء من المسئولية.
جاء "يزيد" من "هيروبولس" وتأثر بشدة بسبب اختفاء ابنه "نور"، وسأل عنه في كل مكان ولم يجد له أثرًا، عندما يأس، عاد مرة أخرى لـ"هيروبولس"، واحتسب ابنه عند الله شهيدًا، بينما زوجته "صفية" لم تكف عن البكاء، ابنها ضاع منها، والآخر في الجيش لا تعرف إن كان سيعود إليها مرة أخرى أم لا!!، و زوجها في المقاومة الشعبية في "هيروبولس"، ماذا تفعل ؟!، أقامت "سارة" معها مؤقتًا تهون عليها الأيام، خاصة بعد أن زاد المرض على "صفية"، ذهب بها ابنها "زكي" للأطباء لكن لم يجدوا لآلامها حلاً سوى استئصال جزء من المعدة.

**

كثرت محاولات الجنود الإسرائيليين للسخرية من المصريين، لا أحد يتخيل شعور "يزيد" عندما شاهد الجنود الإسرائيليين وهم يسبحون في القناة ؟!، يطلقون ضحكاتهم الساخرة وتعليقاتهم السخيفة، بالتأكيد خلفهم زملاؤهم لحماية ظهورهم، والقناة كلها تحت خط النار، فكر "يزيد" أن عليهم إيجاد حل، فلن يسمحوا لهم بالتمادي في السخرية منهم ومن مشاعرهم بهذا الشكل كل مرة!.

اتفق مجموعة من الشباب - ممن تربوا في البحر- أن يغطسوا ويحضروا أول جندي ينزل للقناة، ويقوم "يزيد" وزملاؤه بحماية ظهورهم، لم يكن الاختبار سهلاً، فعليهم ألا يُشعروا أحدًا بهم، بفضل الله سبحانه وتعالى نجحت المهمة، وبعد ذلك حاولت الحكومة المقايضة على الجندي بعدد من الجنود المصريين الأسرى في "إسرائيل"، و قبل ذلك لم ينس شباب المصريين عمل الواجب مع أسراهم.

بعدما تم الإفراج عن الأسرى المصريين، شعر "يزيد" أن دوره قد بدأ، و أن أبناءه في المقاومة بدأت مهمتهم، اقتصر دوره على تدريب المتطوعين الجدد وتنظيم حياتهم وتوفير الأكل والنوم لهم، وأكمل شباب المقاومة باقي العمليات.

**

علم "يزيد" أن قوات الجيش سوف تصلي الجمعة في مسجد "الشهداء" فذهب للصلاة معهم، وبحث عن ابنه "عادل" بينهم حتى وجده جالسًا بين قائده وزملائه، فجلس بجانبه وطمأنه على أخيه "نور" وأخبره – كذبًا - أنه قرر السفر ليكمل دراسته في "الإتحاد السوفيتي"، وبرر عدم ذكر "نور" ذلك قبل سفره بخوفه من رفض طلبه.

أثناء تلاوة الشيخ "البنا" وقبل الخطبة، بدأت محاولات قذف المسجد كالعادة، كان "يزيد" مطمئنًا أن هجمات الطائرات الإسرائيلية لن تصيبهم بخطر لوجود عدد من القادة، بالتأكيد الوضع تحت السيطرة، تحققت نبوءة "يزيد" وأنقذ الدفاع الجوي الوضع، شعر "يزيد" بعودة الأمل في الجيش، وأنهم قادرون على العودة والانتقام، كان "يزيد" يرى أن الهزيمة جاءت من الداخل، من المصريين أنفسهم، قبل أن تأتي من الخارج، إنه وطن قادر على تدمير نفسه ذاتيًا!.

لمس اليوم روح "فريدة" فالمسجد يقذف بالقنابل والشيخ لم يخطئ حرفًا أثناء تلاوته للآيات القرآنية، كانت الخطبة التي ألقاها الشيخ "عبد الله شحاتة" حماسية، أشعلت حماس الجميع في الانتصار أو الشهادة!

مع مجيء "السادات" ومحاولاته التخلص من الفاسدين، بدأ "يزيد" يشعر بفارق كبير بين "عبد الناصر" و "السادات" لصالح الأخير، كان يرى حب الناس لـ "ناصر" مجرد سذاجة من شعب عاطفي، رأى "السادات" أكثر واقعية ودهاء، عندما كان "يزيد" ضابطًا كان "السادات" مجرد ضابط تم فصله من الجيش، ويعمل في أعمال يدوية بسيطة بعد اتهامه في قضية اغتيال "أمين عثمان"، كان حقًا شخصية مثيرة للجدل، حتى زواجه من "جيهان" سبب الدهشة للجميع، حتى "كريستين" زوجه "عزيز" تعجبت من موقف "جيهان" وقبولها الزواج من الضابط المفصول الذي لا يحمل مستقبله أية ملامح!

الانتصار والحصار

بين لحظة وأخرى من الممكن أن يتغير كل شيء، من الممكن أن ينظر العالم كله لما يقوم به جندي مصري بسيط اختار أن يضحي بحياته من أجل أن يعيش

باقي أبناء بلده حياة كريمة شريفة، من أجل أن ينال الشهادة ثم الجنة، من أجل أن يعيش الوطن فوق كيد المعتدي.
خاض الجندي "عادل" معركة اليوم السادس، ذكر أنه كان يومًا مجيدًا ورائعًا، هناك خطة وتنظيم وعمل وكفاح وتركيز، جميع البشر متساوون في الإمكانيات والقدرات وما يفرق بينهم هو القدرة على الاستغلال والاستخدام، عندما تقترب منك رائحة الموت وتراه في كل مكان حولك، لن تشعر بالغربة عنه.
أثناء الملحمة القتالية، و بالتحديد أثناء تفجيره لخندق إسرائيلي، تذكر "عادل" السنوات التي قضاها في الجيش، ضاع الكثير من عمره في الجيش، رأى صورة أبيه،أهله و قادته، من أحبهم ومن لم يحبهم، لابد من الفوز مهما كانت التضحيات، صيحات "الله أكبر" لم يكن متفقًا عليها، لكنها خرجت من داخلهم.

كان يومًا قاسيًا وصعبًا، يشعر به كلما ابتعد عنه، "عادل" بطبعه غير عدواني، لا يحب القتل ولا سفك الدماء، أما يومها فقد قتل، قتل من أجل التحرير والنصر، من أجل "مصر"، من أجل أبنائه وأحفاده، من أجل أصدقائه الشهداء، وقف يومها أمام الدبابات يدمرها ولا يعرف كيف كان يفعل ذلك، كان العبور و التقدم في "سيناء" كأنه حلم طويل بعض الشيء لكنه كان حلمًا جميلاً.
**
لم يصدق "يزيد" ما يحدث، حرب في الثانية ظهرًا!، فعلها "السادات"، فعلها بدون ضجة إعلامية ولا أغاني "عبد الحليم"، فعلها بعدما ظن الجميع أنه أضعف من أن يفعلها!، إنها الخدعة التي اختار أن يعيشها، فلم يكن "السادات" ضعيفًا، لكنه أوهم الجميع بذلك!
قرر "يزيد" أن يذهب إلى المستشفيات، قد يكون دوره مفيدًا في عمليات الإنقاذ، ذهب ووقف بجوار أخته "نجلاء" التي نصحته بالتبرع بالدم، لأن فرق الإنقاذ والتمريض في حاجة إلى دماء بدلاً من الدماء المسكوبة على رمال سيناء.
"نجلاء" اليوم على غير طبيعتها، إنها تشبه العروس التي تستعد لزفافها، تعجب "يزيد" من نشاط أخته الذي لم يشاهدها عليه منذ زمن!.
**
عندما سمعت "صفية" خبر العبور، اتجهت للشرفة تنتظر عودة "عادل" وزوجها "يزيد"، حاولت "سارة" ومعها "شيماء" التخفيف عنها، ولكن

الجميع فشل، إنها تبكي، تشعر بالخوف على ابنها، إنه "عادل" ابن الأمس، كيف يحارب و يقف أمام الجنود الإسرائيليين الأقوياء؟!، رفضت الطعام، من أين يحضرون لها المزاد الذي تأكل به وهى لا تعلم شيئًا لا عن ابنها ولا زوجه!!، وابنها الآخر مختف!، استئصال الكلية وعدم سيرها على نظام غذائي سليم وقلقها الدائم سبب لها حالات قيء مستمر.
حاول "زكي" الاتصال بوالده أو عمته، ورغم فشله في العثور عليهما، فقد اطمأن أنهما بخير.
نزل "عادل" إلى "هيروبولس" في زيارة خاطفة فاتصل بأمه، مما طمأنها بعض الشيء، لكن كلما حاول "عادل" الاتصال بحبيبته "سعاد" لم يجبه أحد!، حين جاء إلى المستشفى العام مصاباً في كتفه اليمين، أصيبت "نجلاء"بصدمة، ولم تستطع أن تضع يديها على "عادل" و سقطت على الأرض.
**
تمكن الجيش الإسرائيلي من عمل ثغرة في الجيش المصري، تدفق منها إلى شرق القناة، أراد الجيش الإسرائيلي أن تنتهي الحرب بخسارتهم "سيناء" وفوزهم بـ"هيروبولس"، نجحت القوات الإسرائيلية أن تجعل الفرق المصرية تطلق النيران على بعضها البعض!، وكانت قوات الثغرة الإسرائيلية تحت قيادة القائد المحنك "آريل شارون" الذي كان يمتلك ذكاء عسكريًا غير عادي، ولكن هناك مصريون يقومون بعمل أشياء غير منطقية، تقف كحاجز أمام أي ذكاء بشري عسكري، أعلن "آريل شارون" الحصار على "هيروبولس" و قطع عنها الماء والكهرباء والإمدادات، ثم طلب من المحافظ أن يسلم البلد ويذهب إلى الإستاد حاملاً الراية البيضاء ومعه جميع سكان "هيروبولس".
استطاع عدد من كبار السن إنقاذ 1400 جوالاً من الدقيق بعد أن أشعلت القوات الإسرائيلية فيه النار، تعجب الأهالي كيف علم "شارون" بمكان الدقيق!، بالتأكيد بينهم عدد من الخونة الذين يتخفون في مراكزهم القيادية، استطاع عدد من كبار السن تذكر أماكن الآبار لاستخدامها مرة أخرى كمحاولة للصمود أمام القوات الإسرائيلية التي قطعت المياه وأشعلت النيران في الدقيق، رفض جميع الجنود المصابين والجرحى في المستشفى العام إنذارات التسليم التي أعلنها في ميكرفونات المدينة جندي إسرائيلي يتحدث بلهجة شامية.
الخطاب جعل الحماس يتغلب على الجرحى والمصابين ومعهم "عادل"، حاولت "نجلاء" منع "عادل" ابن أخيها مما يدور في رأسه، ولكن الحماس الذي

يخرج من عينيه جعلها عاجزة عن التصدي له، ذهب "عادل" و زملاؤه ليسلموا أنفسهم للمقاومة في مسجد "الشهداء"، وهناك صعد الشيخ "حافظ" على المنبر يخاطبهم قائلا:

"الحمد الله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المجاهدين..أيها المواطنون الأبطال..لقد أرسل القائد الإسرائيلي إنذارًا إلى المحافظ بتسليم المدينة خلال نصف ساعة..وإلا قام الطيران بدكها..وجاء ردنا برفض هذا الإنذار الإسرائيلي..والاستمرار في المقاومة..حتى يستشهد آخر رجل في سبيل الله..كما قرر شعب "هيروبولس " وكل من فيها من رجال أبطال..أيها الأبطال..فليستمر كل منكم في موقعه..يدافع عن دينه ووطنه وشرف بلاده.. وليكن شعارنا ..النصر أو الشهادة في سبيل الله..واستمروا على بركة الله ولا تنخدعوا بهذه التهديدات..فقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى بنصره..وعرف ذلك كل من كان في المدينة من الأعداء بالأمس و اليوم..و هذه محاولة فاشلة للعدو بعد أن رأى مقاومتكم الشرسة..فسيروا على بركة الله..و الله ناصرنا ((و ما النصر إلا من عند الله))".

أخذ "يزيد" و من معه يرددون في المسجد صيحات " الله أكبر "، وحتى "نجلاء" والجرحى والمرضى، الكل اطمأن قلبه بعد أن سمع رد الشيخ "حافظ".

جاء رد الجندي الإسرائيلي صاحب اللهجة الشامية أن كل ما يقوله الشيخ "حافظ" محاولات فاشلة لأن المحافظ قام بتسليم المدينة بالفعل.

وجاء رد الشيخ حافظ مرة أخرى: "واعلموا أيها الجبناء أن أرض "هيروبولس" الطاهرة في حاجة إلى أن تُروى بدمائكم القذرة مرة ثانية..فإن استطعتم أن تدخلوا فأهلاً و سهلاً بكم.. وإلى اللقاء على أرض الصمود والاستبسال".

رفض الجندي البسيط أن يرفع الراية البيضاء على مبنى المحافظة كما طلب منه المحافظ، و فضل أي عقوبة تقع عليه عن تنفيذ أمر يخجل منه الجميع، فقام المحافظ برفع الراية البيضاء، وخلع ملابسه العسكرية ومعه مدير الأمن، و لا أحد يعرف أين ذهبا ولا أين اختفيا؟، إلا أنهما ظهرا مرة أخرى بعد سير المعركة بين صفوف المقاومة وأخبرا الجميع أنها كانت مجرد خطة، وسار ميكرفون يخبر الناس أن المحافظ رفض التسليم إلا بعد أن اطمأن على الوضع

"ظهر ليلعب دورًا أخيرًا ينقذ موقفه"، هكذا قال "يزيد" لأخته "نجلاء" ووافقهم في الرأي كل من كان في المستشفى.
**
تم إعلان وقف إطلاق النيران، وجاءت القوات الدولية من الأمم المتحدة وبدأت تتوغل فيها، لكن أهالي "هيروبولس" توقعوا الخيانة في أي لحظة واستعدوا لها، وكان "يزيد" يردد أمامهم " لا يوجد شرفاء في الحروب و الحرب ذاتها خدعة..علينا دائماً أن نتوقع الأسوأ"، فهم لا يخوضون حربًا مع أقوياء، بل يخوضونها مع أذكياء، يستغلون دهاءهم لتحقيق الانتصارات الضخمة.
أكد أحد الفدائيين لـ "يزيد" انه رأى بعينيه القوات الإسرائيلية وهي تنضم إلى القوات الدولية، معنى ذلك أن القوات الإسرائيلية حاليًا تتوغل داخل المدينة تحت ستار القوات الدولية!.
كانت "نجلاء" في المستشفى تُمرض الجرحى، إن الحياة وسط أشلاء الشهداء قاسية جدًا، ولكن الخيانة أصعب، خرجت "نجلاء" تصرخ في الشارع و اشتبكت مع ضابط إسرائيلي أخبرته أنهم لن يدخلوها إلا على جثتها فأطلقوا النار تجاهها، فسقطت تحت أقدامهم، كان الفدائيون وقتها ينصبون فخًا للقوات الإسرائيلية.
كانت "نجلاء" - وقت الحصار - تشجع الجنود وتحثهم على المقاومة والشهادة، وكانت تصنع لهم الطعام و تطعم المرضى بيدها، لذا حزن الجميع على إصابتها.
استعادت "نجلاء" وعيها لتجد "كريستين" بجوارها، تعجبت مما فعلت، قالت أنها كانت لا تعي ما فعلته، فكل ما شعرت به هو أن "هيروبولس" من الممكن أن تضيع في أية لحظة، تضيع بسبب الخيانة، القائد "شارون" يعرف كيف يتغلب على المدينة بالقوة والذكاء والمؤامرة.
عندما رغبت "نجلاء" في العودة إلى بيتها في شارع "النمسا"، طلبت منها "كريستين" أن تأتي معها في بيت أبيها، عندما تمسكت برأيها تركتها "كريستين" لترى انهيار بيتها بنفسها، وبعد ذلك ذهبت معها، الغريب أنها عندما شاهدت منزلها المنهار لم تعلق ولم تتحدث!، لاحظت "كريستين" في عينيها نظرة غريبة غير مفهومة، نظرة بها مزيج من انكسار وانتقام وصمود وحزن وتمسك بالحياة!.
رفض أهالي "هيروبولس" الاستسلام مهما وصلت الخسائر، وقف رجال الجيش الشرفاء مع أبطال المقاومة ومعهم رجال الشرطة، الكل يرفض

الاستسلام، ماعدا بعض القيادات التي أرادت الاستسلام وجلب العار لـ "مصر" والتضحية بدماء الشهداء!، قاتل أهالي "هيروبولس" كما لم يقاتلوا من قبل، استشهد الكثير من أجل حماية قسم شرطة أو مبنى.
استمر الحصار مائة يوم، لم تضعف خلالها عزيمة أهالي "هيروبولس" لحظة، اشتد المرض على "صفية" بسبب زيادة قلقها على ابنها "عادل" الذي عاش الحصار هو ووالده في "هيروبولس".
حفظ "عادل" أغاني "السمسمية" التي كان ينشدها جده وبدأ يرددها في السهرات الليلية، الكل ـ بما فيهم "كريستين" ـ يُجمع أن "عادل" يشبه جده "عزيز" كثيرًا، حكت لهم "كريستين" كيف استطاعت "فرنسا" الصمود أمام الاحتلال الألماني، وكانت تطلب من "عادل" أن يغني للناس على "السمسمية".
"اصحي يا "مصر".. ودوسي خوفك
خطي فوق .. قهر السنين
و احضني في صدرك.. ولادك
جه ميعادك..
مزعي الآه .. والأنين"

الانفتاح

بعد الانتصارات المجيدة، أعلن الرئيس السادات قرار تحويل "هيروبولس" إلى منطقة حرة، كان "السادات" يرى أنه لابد من تعويض أهل "السويس" عما

ذاقوا من هجرة وتشريد، كما يجب مجازاتهم، فقد ضرب أهالي "هيروبولس" مثالاً راقيا في الحفاظ على تراب الوطن والتضحية من أجله، يجب تعويض هذه المدينة التي فقدت ممتلكاتها وأموالها وجمالها وبيوتها.
كانت فكرة تحويلها إلى منطقة حرة واردة بقوة في ذهن الرئيس "السادات" لكنه بعد تفكير، اهتدى لتحويل مدينة "بورسعيد" لمنطقة حرة، فهذا أفضل من الناحية الجغرافية، كان "السادات" يعشق "هيروبولس" ويزورها كثيرًا، يصلي فيها الجمعة ويجلس مع أهلها ويتودد إليهم.
مع الوقت، بدأت الحياة تدب في المدينة من جديد، تم إعادة بناء فندق "بلير"، واقتصر رواده في البداية على العدد القليل من الأجانب الباقيين بعد أن رحل معظمهم عن المدينة بعد ويلات الحروب التي تعرضت لها.
قرر "يزيد" إعادة بناء منزلهم بالطوب الأحمر بدلاً من الخشب، وهكذا تم بناء بيت من أربع أدوار في نفس مكان البيت القديم، أصبح في الدور شقتان بدلاً من واحدة.
تم تخصيص شقة لـ "كريستين" بالدور الأول بعد طردها من فيلتها الخاصة بـ "بور توفيق"، وأمامها شقة لـ "شيماء" وأسرتها، وفي الدور الثاني تم تخصيص شقة لـ "عادل"، وأمامها شقة "يزيد"، أما الدور الثالث فكانت شقة "زكي" فكر "يزيد" أن يخصص شقة لـ "نور"، لكنه تذكر أنه احتسبه عند الله شهيدًا، ورأى أن يترك الدور العلوي فارغًا حتى تظهر الحاجة إليه.
فكر "يزيد" أن يفتتح مقهى تجاريًا تحت بيته، حتى يجد مصدر رزق آخر، تعجبت زوجته "صفية" من الفكرة، وذكرته أنه كان ضابط شرطة.
- "لقد نسيت ..كما أن أحدًا لم يعد أحد يتذكر ذلك!".
**

عندما خرج "عادل" من الجيش في 74، أحس أن "مصر" تغيرت والقيم تبدلت، بالرغم من ذلك، أحب الرئيس "السادات" بشدة واعتبره بطلاً حقيقيًا لأنه استطاع - بدون كلام - أن يعيد إلينا "سيناء"، ومهما كانت أخطاؤه فهو من أعاد "سيناء"، أُفرج عن "عادل" بعد أن شعر أن عمره كاد يضيع في الجيش، وكان وقتها من يدخل الجيش لا يخرج!.
بدأ "عادل" يتذكر دراسته في كلية "التجارة"، في البداية وجد عملاً في بنك حكومي في "القاهرة" بعد أن كان يتصور أن حياته سوف تنتهي في الجيش،

وأحس أنه نسى الجمع والطرح، كان زملاؤه يقدرونه ويحترمونه، ينظرون له نظرتهم لبطل، وكان مديره لا يناديه إلا بكلمة "بطل" و كان نداء يعتز به كثيرًا.

ذهب البطل "عادل" إلى بيت "سعاد"، فمنذ فترة طويلة وهو يحاول الاتصال بها ولكن لا أحد يجيبه!، علم أن أسرتها انتقلت إلى بيت جديد، قرر الذهاب إليها في البيت الجديد وحمل معه باقة من الزهور، فتح له الباب شخص عندما نظر إليه وإلى صورة الزفاف المعلقة على الحائط، أدرك أنه زوجها، تدارك الموقف بسرعة و أعطى له الورد قائلاً

- "السلام عليكم.. شقة أستاذ عادل يزيد؟"
- "لا يا فندم".

نظرت له "سعاد" من خلف زوجها، نظرة بها فرح وخوف وحزن، أغلق زوجها الباب ونزل "عادل" درجات السلم كارهًا نفسه والحياة، لقد عاد حيًا حتى يتزوجها، سخر "عادل" من نفسه، لولا ملاحظته لصورة زفافها لكان قد تسبب لها في مشكلة كبيرة، علم أنها لن تعود!.

أصر والده أن يعود إلى "هيروبولس"، وكان حزينا ويائسًا، لولا تدخل زميلته "أمينة"، كانت "أمينة" تنظر لـ "عادل" على أنه بطل يجب أن يُعوض عما دفعه من عمره، حكى لها في يوم عن حبيبته "سعاد" التي عاد من أجلها ليجدها تزوجت من غيره، فهي لا تحب الانتظار!

أخبر "أمينة" برغبته في الزواج منها شرط الانتقال معه إلى "هيروبولس"، والغريب أنها وافقت على الفور!، كانت "أمينة" من أبوين مصريين يقيمان في حي شعبي بـ "المنيرة"، أخبر والده الذي وافق وذهب معه لخطبتها، كما ذهب معهم كل من "شيماء" و"كريستين" و"زكي" و"هبة" وابنهما "هيثم".

أقيم حفل الزفاف في نادي قريب من النيل بـ "القاهرة"، بعد ذلك جاءت العروس "أمينة" لتتعرف على "هيروبولس"، انتقل "عادل" و"أمينة" للعمل ببنك خاص جديد تم افتتاحه في "هيروبولس".

**

عمل "زكي" برادًا في شركة صيانة، كان مرتبه معقولاً بعد تغير ظروف الحرب وبداية دخول البلد في مرحلة الانفتاح وإعلان السادات أن الظروف مهيأة للتكوين الثروات، ومن لم يكون ثروة في عهده لن يكونها في الأيام القادمة،

عرض عليه ابن عمته ونسيبه "مصطفى" السفر معه إلى "العراق" و لكن "زكي" رفض قائلاً:
- "أنا فعلا بعدت عن "هيروبولس" لكن ما أقدرش أبعد عن "مصر".. مش هقول لك بحب "مصر" وكلام الأغاني ده.. بس أنا مش هعرف أتعامل مع ناس جديدة".
بعدها دخل "زكي" شراكة مع مقاول وافتتحا شركة للاستيراد والتصدير، وضع فيها "زكي" كل أمواله التي جمعها خلال سنوات العمل، وما كانت زوجته "هبة" تشجعه على ادخاره، وما كانت تدخره هي له، كما باعت ذهبها حتى يبدأ مشروعه الأول.
رأت "هبة" أن يدخل ابنهما "هيثم" مدرسه أجنبية تدرس جميع موادها باللغة الإنجليزية، وكانت هناك مشكلتان، الأولى المصروفات، والثانية أن "زكي" و"هبة" لا يتقنون اللغة الإنجليزية، فكان الحل في الاستعانة بمدرس خصوصي، وقررا أنه مهما كانت المصروفات غالية فهي ستضمن المستقبل الباهر لابنهم الذي يجب أن يصبح أفضل منهم.
**
بدأت بطولات الأفلام تتوالى على "سارة"، تحولت "سارة" من فتاة جميلة تؤدي المشاهد الساخنة إلى نجمة يجري خلفها المنتجون والمخرجون.
لم يكن قرار دخولها عالم الفن صعبًا، ذات يوم بينما كانت تجلس في وسط البلد مع أصدقائها - كانت الأفكار الشيوعية بدأت تهتز في عقلها وعقل أصدقائها - عرض عليهم صديق لهم أن يأتوا معه، ليشاركوا في عمل مشهد بجوار حمام سباحة في فندق قريب من المقهى في مقابل مبلغ كبير، وبجانب ذلك سوف يشاهدون كيف تصور مشاهد السينما، كان الفيلم من بطولة "حسن يوسف" الذي كانت تحبه كل الفتيات وقتها، ذهبت "سارة" معهم ولم تنو المشاركة في المشهد، بل ذهبت فقط مع صديقاتها وأخبرتهم أنها ستقف لتشاهد من بعيد، رآها المخرج فبهره جمالها وأعجب بجسدها، فخصص لها دورًا كبيرًا في فيلمه التالي، أدت "سارة" عشرات الأدوار في سينما المقاولات، كانت وقتها الأفلام سريعة وسهلة، فلا يوجد أي اهتمام بالدور أو معنى الفيلم، والمهم تسجيل ساعتين ليتم تعبئتهم في الفيلم ويرسل إلى نادي الفيديو ثم دول الخليج!.

طلبت "سارة" من جدتها أن تأتى معها لشقتها الجديدة في "جاردن سيتي"، لكن "كريستين" ظلت متمسكة بـ "هيروبولس"، تعيش مع ذكريات زواجها سواء بـ "ميشيل" أو "عزيز".

**

ذهب "زكي" في زيارة سريعة إلي "هيروبولس" على عكس عادته، فهو يذهب في الأعياد والمناسبات فقط، وكان ينام في شقة والده، لأن شقته مازالت غير جاهزة.

تعجب "عادل" من زيارة أخيه، خاصة أنه طلب من "عادل" أن يجلس معه على انفراد، كان "زكي" يريد أن يتأكد من مستقبل شركات توظيف الأموال وهل هو مضمون، لأنه وضع أموالاً كثيرة بها، كان يحتاج لاستشارة أحد يثق به، وبالرغم من أنه لا يحب استشارة أخيه في أموره، إلا أنه الآن يحتاج إليه، لأن مكاسب هذه الشركات خرافية، أكد له "عادل" أنه يراها غير مضمونة وقد يتم ضربها وبالتالي خسارة أموالها في أية لحظة، و نصحه أخوه بالابتعاد عنها مهما وصلت نسبة أرباحها، وبالفعل سحب "زكي" أمواله بعد أن حققت في شهورها الأولى فوائد ضخمة، وبذلك كان الوحيد الذي استفاد من شركات توظيف الأموال هو "زكي" الذي ضحك بشدة - وحفظ الفضل لأخيه - عندما تم إغلاق الشركات و سجن أصحابها وضياع نقود المودعين بها!.

بالرغم من حب "عادل" لأخيه إلا انه كان ينظر له على أنه انتهازي وفرز طبيعي من نتاج الانفتاح وحصد دماء الشهداء، دائمًا يتذكر جملة قالها له "زكي" : "فيه ناس بتحارب و ناس بتجني ثمار الحرب"

لم تظل العلاقة متوترة طويلاً بينهما بسبب عودة "عادل" إلى "هيروبولس" وبقاء "زكي" في القاهرة، كما أن نجاح "زكي" جعل "عادل" يفتخر أنه أخوه، وإن كان يختلف معه في أغلب الآراء و الأفكار، كما كان "عادل" يتقدم كل يوم في عمله حتى وصل لمكانه هامة بفرع البنك في "هيروبولس".

**

كان رواد مقهى "يزيد" في البداية من رجال المقاومة، ولكن مع مرور السنين تفرق الجميع و ذهب كل واحد باحثاً عن رزقه.

نجح "يزيد" في قيادة المقهى كما نجح من قبل في قيادة المقاومة، لم يطلقوا عليه "المِعلم" نظرًا لاحتفاظه بارتداء البذلة الكاملة، وكانوا يقولون له "يا

باشا" أو "يا حاج"، وفكر جديًا في زيارة الأراضي المقدسة، خاصة بعد إلحاح زوجته "صفية" على السفر للحج.
كانت تقول له كثيرًا أنها تتمنى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاتها، أصبحت "صفية" تفكر في الموت أكثر من الحياة، مما دفعه للاندماج في المقهى حتى يبتعد عن كلامها وكثرة بكائه على ما أصابها، فهو يمتلك نفس أحزانها، لكنه لا يعيدها على نفسه كلما حاول العقل نسيانها.
**

تولت "نجلاء" منصب وكيل المدرسة، وهو أعلى منصب لها أن تتقلده، لأن مديرة المدرسة لابد أن تكون مسيحية الديانة، لأن المدرسة تابعه للكنيسة، أوقات كثيرة كانت نجلاء تشعر بالوحدة، رغم وجود المدرسات والمدرسيين و التلاميذ حولها، الكل كان يخاف منها نظرًا لصرامتها المعهودة، تغير حال المدرسات و أصبح من حقهن الزواج والإنجاب والحصول على إجازة وضع، أصبحت مهنة التدريس بدون تضحيات، كما لم تعد لمادة اللغة الفرنسية أهمية في المدرسة الابتدائية بعد أن تحولت المدرسة إلى اللغة الإنجليزية، لذلك كانت كثيرًا ما تغضب بسبب اختيارهم محاسبة صغيرة لتكون مديرة المدرسة!، لكن المديرة استطاعت أن تعطي مكانة وأهمية للأستاذة "نجلاء" جعلتها تشعر أنها مثل ابنتها، وكانت تُظهر أمام الناس أنها تأخذ رأيها في كل كبيرة وصغيرة، لكنها في النهاية تنفذ ما في رأسها هي.
**

عاشت "كريستين" بين الوحدة والذكريات والصور، كُتب عليها أن يُقتل أزواجها في الحروب، "ميشيل" في الحرب العالمية، و"عزيز" في حرب الاستنزاف، حتى "سارة" تركتها لتعيش في "القاهرة" بمفردها بعد أن دخلت عالم الفن وأصبحت نجمة إغراء!.
أصبحت تكره البيت والشقة، فكرت أن تنزل وتخرج، وبعد أن تركها الجميع وحيدة تقرب منها شخص طيب يُدعى "بولا"، تعرفت عليه في الكنيسة، كان "بولا" في السبعين من عمره، أخبرها أنه يعيش بمفرده ويتمنى أن يتزوجها، فكرت فيما سيقوله عنها الناس، أن فكرها تغير وأصبحت تفكر بالعقلية المصرية!، لماذا لا تعود إلى "فرنسا" لتبحث عن أسرتها، عليها أن تحضر أموالاً من حفيدتها "سارة" بدلاً من المبلغ الضئيل الذي ترسله كأنه صدقة.
**

جاءت العائلة كلها لتحتفل بمولد ابنة عادل "راحيل"، فرح "يزيد" بأحفاده، لديه من "زكى" "هيثم" و "ياسمين"، ومن "عادل" "يحيى" و "راحيل"، تعبت "أمينة" جدًا أثناء الولادة، لذلك تأجل الاحتفال بالسبوع إلى ما بعد الأربعين.
تأمل "يزيد" أبناءه وأحفاده، تذكر ابنه المفقود "نور" وتمنى أن يكون بينهم الآن، حضر حفل "السبوع" الفنانة المشهورة "سارة" والتي التف حولها جميع الضيوف، أخبرتهم "كريستين" أنها ستذهب مع حفيدتها "سارة".
******
قضت "كريستين" أسبوعًا مع حفيدتها، ولكنها لم تستمتع بـ "القاهرة"، كانت "سارة" مشغولة طوال الوقت بالتصوير والمقابلات الصحفية والدعاية لنفسها، عادت "كريستين" إلى "هيروبولس" لكنها لم تعد إلى بيتها، بل عادت إلى المقهى الذي يجلس فيه "بولا" وطلبت منه أن يغادرا "هيروبولس" ليعيشوا في محافظة أخرى، استغرب طلبها وأخبرها انه لم يعد صغيرًا للقيام بمغامرة عاطفية، هو فقط يحتاج إلى "ونيس" يعيش معه، وأقنعها أن يتزوجا عرفيًا ويعيشان في شقته التي اشتراها في "القاهرة" بحي جديد أطلقوا عليه اسم "حي فيصل".
ذهب "بولا" سرًا إلى "يزيد" ليخبره بقصتهما، وأن "كريستين" لا تريد أن يعلم بذلك أحد غيره، شكره "يزيد" على الاهتمام ودعاه ليأتي ويجلس في المقهى كلما سمحت ظروفه.
******
ذات ليلة، جاء لـ "يزيد" في المنام رجلان، أحدهما بلحية بيضاء وعمامة خضراء، يمسك في يده عصا، والآخر قوي الملامح طويل الشعر واللحية ويركب فرسًا، سأله الرجل ذو العمامة الخضراء "لماذا لا تزور نبيك..ألا تعرف أنك يجب أن تكون هناك هذا العام؟!"
أجابهما بالنفي، فهو لا يعلم، فأخبراه أن عليه أن يذهب، عندما سألهما عن هويتهما لم يجبه أحد، مر بعد ذك رجل قال له "إنهما الأربعين و الغريب"، تذكر رواية والده عن الحلم الذي أتى له فيه "عبد الله الأربعين" بعمامته الخضراء، إن رؤيته لـ "عبد الله الغريب" ليست بشيء جديد عليه، فذات يوم بينما كان داخل أحد الخنادق أثناء غارة عنيفة، سمع صوتًا يقول له "اخرج بسرعة..المكان سوف ينفجر"، وعندما خرج لم يجد أحدًا، لكنه سمع صوت

فرس يبتعد، أخبروه يومها أنه "الغريب" أتى ليساعدك، فهذا واجبه، قرر يومها أن يسمع كلام عقله و أحلامه و يسافر للحج.

وبالفعل حجز "يزيد" مع الحاج "عيسى" تاجر الذهب، والذي كان يعمل في تنظيم رحلات الحج و العمرة، كان السفر بالباخرة، وبلغت عمولة الحاج "عيسى" 10% من تكلفة الرحلة مقابل تنظيم الرحلة و الفندق و المناسك، قبل العيد الكبير استعدت "صفية" و "شيماء" للسفر مع "يزيد"، بينما رفضت "نجلاء" الذهاب معهم.
كانت الحجرة صغيرة جدًا في السفينة، استرجع "يزيد" ما مر بحياته من أحداث كأنه شريط سينمائي يمر أمام عينيه بكل مشاهده، تذكر أخطاءه، تذكر "مارتين" ودعا لها بالرحمة، كان يأمل أن يطهر الله قلبه، لقد تعب من الحياة التي تلقي به من مكان إلى آخر بدون أن يكون له علاقة بما يحدث في حياته، عاش "يزيد" حياته كلها كرد فعل!، حاول أن يفعل شيئًا يميزه، لكنه لم يستطع!، كل ما فعله أشياء عادية فعلها غيره، ربما لو كان قد تزوج "مارتين" لكان أفضل حظًا، ولكنه لم يعد نادمًا على شيء ضاع منه، كان يدعو بالرحمة لأبيه وأمه وأخيه "نجيب" الذي توفي في عمر الشباب، ظل البحر والرحلة يقلبان عليه الذكريات، ظل على سطح السفينة يفكر و يلعب مع سمك "الدولفين"،إنه سمك طيب للغاية مثله.

عندما دخل "يزيد" المسجد الحرام، انتابه شعور عظيم بالرهبة، أخذ يبكى بشدة بلا سبب، فكر "يزيد" أن يقلد الحاج "عيسى" ويقوم بتنظيم رحلات للعمرة والحج، الفكرة جيدة ومناسبة له، وأفضل من المقهى الذي لم يعد يشعر أنه يناسبه، رحبت زوجته أيضاً بالفكرة، وبالفعل سافر "يزيد" بالطائرة إلى "السعودية" وبدأ في التخطيط للمشروع الجديد، وعقد اتفاقيات مع الفنادق وعاد ليبدأ تنفيذ الفكرة بعمولة أقل.
**

النمسا

اتجهت "سارة" إلى المسلسلات التليفزيونية بعد انهيار الكيان السينمائي، وبعد أن أصبحت السينما تنتج أربعة أو خمسة أفلام طوال العام، في التليفزيون تعرف عليها الجمهور من جديد، أحب شخصيتها وأداءها أكثر من جسدها و شكلها، خاصة أن آثار تقدم السن بدأت تظهر عليها، حققت مسلسلاتها نجاحًا ملحوظًا، كانت تطبق بعض الشروط التي تسمح للسوق العربي باستقبال أعمالها، مثل: عدم وجود رجل و امرأة في حجرة بدون مَحرم وألا يكون الباب مغلقًا في أي مشهد من مشاهد المسلسل.

بالرغم من النجاح الذي حققته "سارة" إلا أنها لم تحب ولم تتزوج، ربما لم تجد رجلاً ينظر لها كما تنظر هي لنفسها، كان تَدَفُّق الأعمال عليها يأخذ كل وقتها، أنفقت نقودها على ملابسها وشققها التي اقتنتها في أماكن مختلفة، وجمع التُحف من المزادات ومن الدول التي تزورها، حلمت دومًا بامتلاك منزل كبير تحيط به حديقة كبيرة، تمنت دوماً أن تتزوج و تنجب أطفالاً، لكن القدر أبى أن يتحقق ما تمنته، فمر الوقت ولم تتزوج لتنجب، فكرت في تبني طفل يعيش معها وتمارس من خلاله حلم الأمومة.
كانت ترى "نور" في أحلامها يمارس معها الحب، كانت تشعر أمام نفسها أنها زوجته، نعم ليلة حب واحدة جعلتها لا تنظر لغيره، وحتى في فترة الثمانينيات عندما كانت تؤدي المشاهد الساخنة، لم تشعر بأي متعة، بل مجرد شعور بالقرف، تعلم أنها تعيش على سراب، فمن تنتظره شخص اختفي منذ أكثر من عشرين عامًا، لكنها تشعر أنه سيعود ليضمها إليه في شوق، كانت تهتف كثيرًا في قرارة نفسها "أين أنت يا "نور" ؟ أنا في احتياج إليك..عندما أخلد للنوم أتمنى أن أجدك بجواري.. عندما أرتدي ملابس جميلة ..أراك تبدي إعجابك بها وبي !".

**

ارتبط "يزيد" بحفيده "يحيى" فكان يقيم معه في شقته، أحب حفيده حبًا من نوع خاص بالرغم من أنه لم يسلم من مقالبه الشريرة التي كان يدبرها، ولم يسلم منها أحد، كان "عادل" يغضب جدًا من المشاكل التي يسببها ابنه عندما يلقي بالصورايخ على الباعة والجيران، وكلما ذهب لضربه وتوبيخه يحتمي في جده الذي يمنع "عادل" من ضرب حفيده.
كان "عادل" يتعجب ويسأل والده:
ـ "لماذا كنت تعاملنا بصرامة..و تعامل يحيى بتساهل..وتتقبل كل ما يفعله؟!..أخشى أن يتلف الولد بسبب تدليلك له".
بعد فترة تحققت نبوءة "عادل"، أصبح يحيى شخصًا متساهلاً يحتمي دائما في جده الذي ظل يقيم معه في نفس الشقة.
فكر "يزيد" في تقديم أوراق حفيدته "راحيل" إلى مدرسة الشيخ "حافظ" لكن ابنه "عادل" رفض لأنه يلزم الأم بارتداء النقاب أو الخمار، و"عادل" يرى ذلك تدخلاً في الحياة الشخصية لا يسمح به، أما "راحيل" فستذهب مع عمته "نجلاء" لمدرستها وحتى تكون مع أخيها "يحيى".

**

مضت حياة "عادل" مستقرة في العمل والبيت، كان عليه أن يراعي والده "يزيد" وعماتِه "نجلاء" و "شيماء"، رحل الرجال وتركوا له مسئولية الجميع، كان يحمد الله أن والده وعماتِه مازالوا بصحة جيدة تسمح لهم بتدبر حالهم.

بعد فترة، بدأت "أمينة" تشكو لزوجها "عادل" من آلام في صدرها، ذهبت بها "نجلاء" إلى طبيب في "هيروبولس" بحي "الأربعين"، أعطى لها دهانًا بسيطًا وشَخَّص حالتها بأنها مجرد حساسية بسيطة سوف تزول.

**

ظلت "نجلاء" تعاني دائمًا من الوحدة والفراغ الذي تعيش فيهما، كانت تتذكر أيام تدريسها للغة الفرنسية وتتمنى أن ترى "كريستين" مرة أخرى لتتحدث معها باللغة التي عشقتها، لولا حرصها على قراءة الجرائد الفرنسية ومشاهدتها لبرنامج "بانوراما فرنسية" على القناة الثانية كل يوم ثلاثاء لكانت فقدت اللغة!

كانت تميل للتدريس، بدأت تساعد في تدريس الفرنسية لأبناء الجيران وطلاب المدرسة الذين انتقلوا للمرحلة الثانوية، استعادت حيويتها، ومع الوقت تحولت المساعدة إلى دروس، وبسبب صرامتها زاد عليها إقبال الأهالي والطلاب، فجميع تلاميذها يحصلون على درجات نهائية وشبه نهائية.

في بداية الأمر تضجر "يزيد" من زيادة حركة الطلاب أثناء الصعود والهبوط، لكنه مع الوقت تأقلم مع الوضع، و رأى أن ذلك أفضل من جلوسها بمفردها، طلبت "نجلاء" من "يزيد" أن ترى "كريستين"، أخبرته أنها متأكدة أنه يعلم طريقها.

**

أتت "كريستين" وهي منهارة تمامًا، تصرخ في المقهى، وصعدت إلى "يزيد" و"نجلاء"، بولا مات، نصيبها أن يموت كل أزواجها و كل من تحبهم، بالتأكيد هناك نحس وسوء حظ يلاحقها باستمرار!.

تعجب "يزيد" من الزمن الذي لا يترك أحدًا على حاله، لم تعد "كريستين" الجميلة رقيقة الملامح، فقدت كل شيء، صوتها و إحساسها ورونقها، طلب منها "يزيد" أن تبقى معهم فابتسمت، ذات يوم قالت لنجلاء:

- "أنا أجلس معكم في انتظار الموت..لا أخاف الموت لكني أمل من انتظاره مات كل أصدقائي ما عداي.. وهذا أصعب شيء يمر على الإنسان.. أن يطيل الله في عمرك فتعيش حياة لم تُخلق لها".

**

اجتمع أطفال العائلة للاحتفال بعيد الفطر، فكر يحيى في الخروج مع "هيثم" وتناول مأكولات بحرية في آخر شارع "النمسا"، تمسكت "ياسمين" بالذهاب معهما، ورافقتهم أيضًا"راحيل".

تحدثت "ياسمين" يومها عن جمال "القاهرة" وشوارعها و مدن الملاهي خاصة مدينة "السندباد"، ابتسم "يحيى" لأنه زارها في رحلته المدرسية، كانت "راحيل" تغلق عينيها وتحلم بالمدينة المسحورة، أما "يحيى" فتمنى أن يصبح في مكان "هيثم"، يعيش في "القاهرة"، والده "زكي" غني ولا يحرمه شيئًا، كان في قرارة نفسه يرى أنه من سوء الحظ أن يكون "هيثم" ابن "زكي"، وهو ابن "عادل"!.

أما "راحيل" فكانت تحلم بكيفية إثبات نفسها في "القاهرة" وحتى تتحدث القاهرة كلها عنها وعن مكانتها، إن "القاهرة" كما تراها في خيالها جميلة جدًا.

لم يحب "ياسمين" ولا "هيثم" "هيروبولس"،كانا يرينها مدينة فارغة من المتعة، ويتعجبان كيف يرتضي عمهم و جدهم الحياة فيها!، صحيح أن السمك والمأكولات البحرية بها لها مذاق خاص ورائع، لكنه سبب غير كاف لأن يعيش الناس في مدينة لا يوجد بها وسائل للمتعة!.

وجدت "كريستين" نفسها وحيدة، انشغل الجميع عنها وفجأة بحثوا عنها فلم يجدوها، سألوا عليها حفيدتها "سارة" التي أخبرتهم أنها لم تأت إليها!، وبدأت تبحث معهم عنها، أصبح الكل الآن يبحث عن "كريستين"، أين كانوا عندما كانت في احتياج إليهم؟، عندما لم تجد سوى نكران الجميل من الجميع عادت إلى "فرنسا"، بعد أن باعت ذهبها لتحصل على ثمن التذكرة، حزن الجميع على عودة "كريستين" لبلدها بعد كل هذا العمر الذي قضته في "هيروبولس".

**

زادت آلام "أمينة" وتغيبت عن العمل أسبوعين، كانت العمة "شيماء" تساعدها وتقف بجوارها وبجوار ابن أخيها، والعمة "نجلاء" تهتم بدراسة "يحيى" و "راحيل" وتذهب مع "راحيل" إلى الدروس الخصوصية، كما تذهب مع

"أمينـة" للطبيب، مهمـا بلغت قسوتها علـى الآخـرين، فقد كانـت شديدة العطف على أحفاد أخيها، وتشعر معهم أنـها طفلـة مثلهم والعمر لم يتقدم بها بعد.
**
زادت أحـزان "راحيـل" بعد قـرار المحـافظ العجيب بإلغـاء أغلـب الأمـاكن العامـة وهدم جميع الكافيتريات و تركها فارغـة، حفاظًـا علـى الأخـلاق، ممـا أدى لزيـادة الفوضى والتضييق على المدينـة، فلم يعد المحترمون يجدون مكانًـا يطمئنون فيـه على أبنـائهم، وسيطر الـلا أخلاقيـون علـى الأمـاكن، حتـى شجر الياسمين والفل الموجود في نـهاية شارع "النمسـا" مـات بعد أن رحل أصحاب الكافيتريات ولـم يجد من يهتم بـه ويرعـاه!، فلـم تجد الشوارع بــ"هيروبولس" مـن يحـافظ علـى جمالهــا، اعتبــروا الاهتمــام بــالمظهر الجمــالي للأمــاكن مجـرد رفاهيــة، إنـهـم موظفون فقدوا الإحساس قبل أن يتقلدوا مناصبهم.
كانـت "راحيـل" تبكي كل يوم لأنـها لا تجد مكانًـا تلعب فيـه، بينمـا يلعب "يحيـى" مع الأطفال في الحدائق المفتوحة المدمرة.

**
ذهبت "أمينـة" لأطباء في "القاهرة" وعلمـوا أنـهـا أصيبت بـالمرض الخبيث فـي صدرها، لـذا تحـتم عليـهم بتـر جـزء مـن صـدرها، تغيـر إحساسـها وتبـدل حالـهـا وزادت ساعات بكائها، ولم يعد أحد يستطيع أن يهون عليهـا، كيف تستطيع أن تواجه العالم بعد ذلك؟!، كيف تستطيع أن تكمل حياتـها وهـي تشعر أنـهـا لـم تعد امـرأة كاملـة ؟!، كانـت تـرى أن بتـر يـدها أو قـدمها أهـون عليهـا مـن بتـر رمـز أنوثتها، اقترب "عادل" منـها أثنـاء بكائها واحتواها وحدثها:
- "لا تخافي..أنا معك"
- "لم أعد امرأة يا عادل"
- "أنت أفضل امرأة في الدنيا.. أقسم لك أن حبك في قلبي يزداد كل يوم..أما مرضك فلست المسئولة عنه..فهذا أمر الله".
كانـت "راحيـل" تـرى أمـهـا "أمينـة" تبكـي، و أباهـا "عـادل" يبكـي، والبيت كلـه أصابه الاكتئاب، ومع ذلك فالكل يقول"اهتمي بمذكراتك يا راحيل".
**
فتحت الحيـاة ذراعيهـا و قلبهـا لــ "زكـي" وأصبح ينتقل مـن نجـاح لآخـر، ومـن "فيلا" لأخرى، إنـه عصره وهذا زمنـه و هذه بلـده التـي يستحق أن يعيش فيـهـا،

لم يكن "زكي" يشغل باله بما يحدث لأخيه، وبالرغم من أن كل نجاحاته فلم يكن سعيدًا مثلما كان في بداية حياته، ولم تعد "هبة" الفاتنة كما هي، فقد تحولت إلى الحاجة "هبة" التي تهتم بالأولاد ورغباتهم أكثر مما تهتم بنفسها، كما أنها لم تعد تثير فيه إلا الاشمئزاز والنفور، ولولا الجميل الذي صنعته معه لاستبدلها بفتاة مستوردة تجدد له شبابه وأيامه!، كان دائمًا يتغلب على أقصى الأزمات بممارسة الحب، فممارسة الحب تمنحه طاقة جبارة على تقبل أي شيء بنفس راضية وبرود أعصاب، كان يحلم بـ "هبة" الصغيرة الجميلة التي جعلته يترك ببساطة كل تجاربه العاطفية من أجلها، تذكر عندما شاهدها في الخندق أثناء الغارة وهي رائعة بملابس النوم.

**

أعطت البنوك العديد من التسهيلات الائتمانية لمساعدة الاستثمار في "مصر"، حتى يتم تحرير سعر الصرف، ووضع السوق كله تحت العرض والطلب.
وقتها كان "عادل" مديرًا صغيرًا في البنك، وكان يقف أمام القروض، مما أدى في النهاية لتحويله للتحقيق بسبب تعطيل مصالح البنك، فحزن بشدة مما حدث، ضاعفت أحزانه المرض على "زوجته"، وأصر الأطباء على العلاج الكيماوي، مما أدى لسقوط شعرها، مما كان له الأثر من سوء حالتها النفسية.
كانت تخبر "راحيل" أنها تشعر باقتراب أجلها، إنها في انتظاره، في انتظار الموت، لم يكن أحد يستطيع أن يهون عليها أحزانها وآلامها، كانت تسافر مرة كل أسبوعين لمدينة "المنصورة"، حيث مقر مجلس طبي متميز وتعالج في مركز للأورام في "فم الخليج"، ذات يوم استيقظت وصبحت على زوجها وعلى "راحيل"، بعدها ذهب "عادل" لعمله ودخلت "راحيل" لتعد لها كوب شاي بالحليب، عادت لتجد أمها فارقت الحياة، أغمى عليها من الصدمة، لم يشعر بهم أحد حتى عاد "يحيى" للمنزل في الظهيرة.

صمتت "صفية" وعلقت"مد الله في عمري رغم مرضي لأهتم بتربية أحفادي"، أحس "عادل" أنها استراحت عندما أسلمت روحها لله بعد رحلة من العذاب والألم والعلاج.

**

كانت "راحيل" تتألم كلما تذكرت هذه الأيام، وتبكي بشدة على فراقها لأمها، فالإحساس باليتم صعب، ولا يشعر به إلا من جربه، ظل "يحيى" حزيناً ولم يعد

يضحك إلا نادرًا، لكنه مع الوقت عاد لطبيعته، أما "راحيل" فلم تعد لطبيعتها، كانت تشعر أنها تفتقد شيئًا هامًا في حياتها، حتى اجتهادها في دراستها كان نتيجة لإحساسها بفقدان أمها!، أرادت أن تثبت للجميع أنها أفضل حالاً منهم، كانت تشعر أن روح أمها بجوارها، تسعد كلما نجحت وحققت إنجازًا دراسيًا، عكس "يحيى" فمهما أخذ من دروس ومهما قسي عليه المدرسون، كان نصيبه في النهاية النجاح بمجموع قليل يسمح له - بالكاد - بالانتقال للمرحلة القادمة!

******

في اجتماع عائلي في "هيروبولس" حضره "زكي" وأسرته و"عادل" وأسرته والجد "يزيد" والجدة "شيماء"، دار حديث عن الأغاني الجديدة، ابتسم "يزيد" وتذكر "شيماء" عندما كانت فتاة رقيقة تردد أغاني "ليلى مراد"، كانت وقتها مثل القمر الذي يضئ بين صديقاتها.

نظر تجاهها وسألها:

- "إنتي ليه بطلتي تغني يا شيماء؟!"

- "أغني؟!"

حكى للجميع عن جمال صوتها عندما كانت فتاة صغيرة مميزة بين الأجنبيات، غرقت "شيماء" في الذكريات ورفضت الغناء، فتطوعت حفيدتها الجميلة "ياسمين" ورددت أغنية جديدة لـ "محمد منير".

"دنيا رايحة و دنيا جاية
..مرة رايحة ومرة جاية..
تخلى بيكم ولا بيا.
.دور عليكو ودور عليا.
.ياما ياما كتير حكينا..
على اللي بكره هيجرى لينا.
.من عشمنا كتير حلمنا.
.واللي مقسوم بردة لينا
.. قسمة حلوة ولا قسوة
..ولا أيام مش هنية.
.طمنينا ما تتعبينا دا اللي دقناه مش شوية..
آه يا خطوة ..آه يا شاردة ..بكره مش زى النهارده.

.بكره يجى يبل ريقي.
.وخطوتي هنكون حبيبي.
.هتحلى بينا ..و تجري بينا.
.تبتسم والله في عنيا..هتبقى حلوه.
.بقسمة حلوة..باقية ع العشرة و عليا".

ورث "هيثم" و "ياسمين" العيون الزرقاء عن أبيهم وجدتهم، وورث "هيثم" قوة نظرة جده "العلوي" بالإضافة إلى جمال عين أبيه، لم يكن "هيثم" ولا أخته "ياسمين" يكنان أي عشق لـ "هيروبولس"، ربما لأنهما لم يعيشا فيها.
كانت زياراتهما لجدهم تمثل لهم حرمانًا من النادي والأصدقاء، وكان "زكي" يفضل قضاء الأعياد مع أبيه، خاصة عيد الأضحى، فيقوم بذبح الأضحية في منزل أبيه وسط أهله، وعندما زاد رزقه، أصبح يذبح في "المعادي" يوم الوقفة، ويذبح يوم العيد في بيته بـ"هيروبولس".
اشترك "هيثم" و أخته "ياسمين" في "نادي الزمالك"، أحب "هيثم" لعبة كرة اليد، لم يتفوق فيها، كان يلعبها لجذب المعجبات، كان "يزيد" يرى أن "هيثم" يشبه جده "ناجي" في جديته وذكائه ونظرات عينيه الحادة، كما ورث عن أبيه القدرة على جذب الفتيات والشباب من حوله عندما يتحدث، التحق "هيثم" بالجامعة الأمريكية، وشارك في أعمال خيرية أثناء الدراسة، وإن كان يرى في قرارة نفسه أن العمل الخيري مجرد تضييع للوقت!.
**

ذات ليلة، رأى "يزيد" في الحلم "عبد الله الأربعين" بعمامته الخضراء النقية، يجلس على منبر مسجده ويخطب في الناس "عليهم أن يرفضوا الظلم ..أن يرفضوا الأوضاع الخطأ..أن يكون آخر أنفاسهم ثورة ضد الظالمين..على أمل أن يأتي الجديد أفضل من الحالي"، وفجأة رأى ابنه "نور" يقف من بين الناس و يصعد مكان "الأربعين"، فيترك الناس حديث "الأربعين" ويستمعون لـ "نور"، يصرخ "عبد الله الأربعين" فلا يسمعه أحد، الجميع مستمتع بحديث "نور".

حكى "يزيد" حلمه لزوجته، فتساءلت تُرى هل يعود "نور"؟!، هل حان وقت فرحهم؟، نذرت إن عاد "نور" أن تذبح وتوزع على الفقراء أمام مسجد "عبد الله الأربعين".

**

تخرج "هيثم" من الكلية و بدأ يعمل مع والده، لكنه لم يسترح لأسلوب والده في العمل، والذي يفتقد ـ من وجهة نظره ـ إلى النظام، كان دائما يشتكي لأخته "ياسمين" التي كانت تهون عليه، وكان هو أيضًا يهون عليها ويساعدها في حل مشاكلها، كان يفهمها كما تفهمه، عكس "زكي" الذي كان يعجز عن فهمهما والتواصل معهما، كانت ياسمين بعيونها الزرقاء وجسدها الممشوق تجذب انتباه كل من يقابلها، فتجد دائمًا حولها الكثير من المعجبين ومن يتقربون منها، لم يكن لها صديقات، فأغلب صديقاتها يغيرن منها، كانت تتدرب على لعبة "التنس" ثلاثة أيام في الأسبوع، وتحرص دائمًا على حضور تدريبات رقصة "الصالصة"، والتي كانت تمثل لها الحرية والتمرد، كانت خطواتها ترتفع بها إلي السماء، في البداية رفض "زكي" أن تتعلم ابنته الرقص، ولكن "هيثم" استطاع أن يقنعه بالتعامل مع حياته حسب الوسط الذي يعيش فيه وينتمي إليه.

**

أصبح المسئول عن فريق "التنس" بالنادي الكابتن "عزمي" الذي تم تعيينه مؤخرًا بعد دفعه رشوة عشرين ألف جنيه لإدارة النادي، لم يكن من السهل على "عزمي" التعامل مع رواد النادي، خاصة فريق البنات، كان أكثر ما يغضبه أنه لا يستطيع أن يحكم سيطرته عليهن نظرًا لمكانتهن المادية والطبقية، وكانت "ياسمين" بجمالها الساحر تعتبر كالقمر وسط عدد من النجوم، فكانت تسخر وتهزأ بمن تشاء وقتما تشاء، وأغلب البنات تشجعنها على ما تفعله، قرر الكابتن الجديد أن يحسم الموضوع، فلو استطاع أن يسيطر على "ياسمين" فسوف يسهل عليه ذلك السيطرة على الفريق بالكامل.

وذات يوم ذهبت "ياسمين" للتمرين متأخرة، فتحدث معها الكابتن بشكل غير لائق، فأبلغت والدها الذي ذهب للنادي وتم حسم الموضوع بالاستغناء عنه، ذهب لها "عزمي" في كل مكان، في النادي وفي "الفيلا" يتوسل إليها أن تعيده لعمله، وذهب لأخيها هيثم "بيه"، وفي النهاية سامحه وعاد إلى عمله بعد أن تعلم الدرس جيدًا.

وبدأت علاقة من نوع جديد، بدأ "عزمي" يفكر فيها، إنها جميلة ووالدها صاحب نفوذ، إن أحبته وتزوجته فسوف تسهل عليه سنوات من العمل والكفاح، حاول أن يتقرب من "ياسمين" ويغني لها كل أغاني الفقر والحب، في البداية تجاوبت معه لأنها كانت تشعر أن به شيئًا مختلفًا،لكن عندما تأكد لها هدفه، أبعدته عنها بهدوء، وشرحت له بشكل محترم أنها تحترمه و تحبه كصديق، لكنها ليست بسذاجة بطلات أفلام "عبد الحليم"، ويجب على كل طبقة أن تعيش داخل نفسها، حتى يعيش المجتمع في سلام، ووعدته أن تقدم له كل خدماتها عندما يحتاج إليها، لكن صعب أن تحبه أو تتزوجه.
هكذا انتهت حكاية الكابتن "محمد عزمي" سريعًا مثلما بدأت، ولكنه رضى بطريقة تعاملها الجيدة معه و عرضها مساعدته في أي وقت، وإن كانت خطته فشلت معها، فسوف تنجح مع أخرى.
**

عاد "موسى" مرة أخرى إلى "هيروبولس" وتأملها، إن الذكريات تبقى، هنا كان يلعب، وهنا مدرسته، ليته أكمل حياته بالكامل هنا!، السياسة تدمر كل شيء!!، مجموعة من السياسيين يخططون ويلهون والشعوب تضيع من أجل أحلامهم التافهة!
مر "موسى" أمام محل والده بشارع "النمسا"، هنا كان يجلس أبوه ويبيع الذهب، لمح مقهى يجلس فيه صديق الطفولة "يزيد"، تردد لحظات، ثم قرر أن يدخل، في البداية رحب به "يزيد" لأنه لم يتذكره، تحدث معه عن ذكريات الطفولة، عن مسابقة عبور بحر "ريكس" في عز الشتاء مقابل رهان على مليم، عن عمه الذي تزوج "جنّية" بعد أن غرق في "ريكس"، تذكرا وضحكا، شربا شايًا وقهوة، وتذكر "يزيد" كل أصدقاء الطفولة الذين شاركوه ذكرياته ماعدا "موسى"، قد تكون الحروب باعدت بينهما لدرجة جعلته لا يتذكر أنه كان صديقه، سأل صديقه المجهول عن عمله، فأخبره أنه يمتلك40 % من قرية سياحية في مدينة "شرم الشيخ"ويحاول حاليًا بناء قرية جديدة في "العين السخنة"، دعا له بالتوفيق ثم سأله عن اسمه لأنه لم يتذكره، ذكره بنفسه "موسى سمحون" وأخبره أنه ليس له علاقة بالسياسة، فهو بعيد تماماً عنها، ولا يريد أكثر من أن يكمل حياته في المكان الذي وُلد فيه، ويموت فيه.

تأمل "يزيد" الموقف، إن أحدث أي ضجة، فسوف يتهمونه بالخيانة، لأنه يتحدث مع يهودي منذ ثلاث ساعات، الجميع يظنه مصريًا بسبب لهجته المصرية وتصرفاته، مؤكد أنه يعيش بين المصريين بمصريته، فيصعب أن يكتشف أحد هويته، أخبره "يزيد" أنه غير سعيد بوجوده "حتى لو بعدنا عن السياسة فبالتأكيد شاركت في قتل ابني أو حاولت ذلك..الدم بيننا كثير يملأ كل مكان..حتى لو تقاسمنا ذكريات جميلة معًا..فقد تقاسمنا أيضاً ذكريات سيئة".

انسحب "موسى" بهدوء وذهب ليتمشى بجوار الكورنيش القديم متأملاً المكان ومحدثاً نفسه "لم يكن هناك - على أيامنا - حدود للبحر..لم يكن هناك شيء اسمه "حوض درس".. يقولون أنه تم هدم جزء من البحر لعمل توسعات في القناة..أشعر أنهم هدموا جزء من ذكرياتي..لم يعد البحر صالحًا للسباحة بسبب تصريف مياه الصرف الصحي بداخله.. لم تعودي نقية كما كنت يا "هيروبولس" ..كل شيء فيك أصبح ملوثًا!".

عاد "يزيد" و حكى لـ "عادل" الموقف الغريب الذي مر به، و حكى له "عادل" بدوره عن وجود عشرة آلاف شاب مصري يعملون في "إسرائيل" ومتزوجون هناك أيضاً!، صُدِم "يزيد" بالخبر، فاندماجه في معارك الحياة جعله بعيدًا عن الأخبار، أصابه الخبر بحالة من الاكتئاب.

**

بجوار النيل

تفرغ "يزيد" لتنظيم رحلات الحج والعمرة، وترك مسئولية المقهى لحفيده "يحيى" الذي فرح بإدارة المقهى، لكنه سرعان ما فضل أن يحوله إلى "كوفي شوب"، ويتم تخصيص مساحة "للبلياردو" في منتصف "الكافيه"، حاول جاهدًا أن يقنع جده بالمشروع حتى وافق هربًا من صداع حفيده المزعج، حوّل "يحيى" المقهى إلي "كوفي شوب"، وبالطبع مع تغير المكان، تغيرت نوعية الرواد! يأتي ليجلس معه زملاؤه من معهد الكمبيوتر وصديق له صاحب سنترال قريب من المقهى، مع الوقت انشغل "يحيى" عن المقهى، وبدأ يتجه لشرب "الحشيش".. "دخانه الملون يمنحك القدرة على الاستمرار في الحياة مع المتخلفين الذين يعيشون حولك..لا أعرف سر تحريم الحكومة له مع أنه ينشط الذهن والمخ ..ويجعلك أكثر طوعًا وأقل تمردًا؟!"، كان يمارس عاداته "التحشيشية" في الصباح قبل فتح "الكافيه"، وبعد إغلاقه، ويا حبذا لو كان معه بجانب سيجارة "الحشيش" فيلم ساخن يشاهده مع أصدقائه، عندئذ تصل المتعة إلى أقصاها.

كان يرى الحياة قصيرة، وعليه أن يأخذ أكبر قدر من متعها، ولا ينشغل بكلام الناس، لأنهم سوف يموتون يومًا ويموت معهم كلامهم، والناس الأكثر طيبة تموت أولاً، بينما الأشرار يعيشون حياة أطول، مثله و مثل جميع أقرانه الذين يحيا بينهم!

كانت جلسات "الحشيش" تسمح له بمعرفة كل الأخبار، وليست الأخبار المزيفة التي يستطيع أن يحصل عليها أي متابع فاشل للجرائد ووسائل الإعلام، بل

الأخبار الحقيقية، من يمارس الحب مع زوجة من، من يشرب "الحشيش"، ما آخر فضائح أصدقائه المصورة على المحمول، ما أخبار قسم الشرطة، وما حقيقة الضابط الجديد، و لماذا رحل الضابط القديم، وكل أخبار الكبار!.

في يوم جاء له خبر أن أخته "راحيل" تحب شابًا وتصرف عليه، شاب يعيد الثانوية العامة منذ سنوات!، أغلب نفقاته تعتمد على صديقاته البنات، لم يعرف متى وصلت "راحيل" للسن الذي تستطيع أن تشعر فيه بهذه المشاعر الوهمية!

ظن أنها لا تزال الطفلة التي تعشق الشيكولاتة التي أدت لسمنتها المفرطة، لم يعرف هل من المفروض أن يواجهها، إنها تعلم أنه يتاجر في الأفلام ولم تخبر أحدًا، يستطيع أن يواجه أي شخص ويقف أمام الدنيا كلها، لكنه لا يستطيع أن يقف أمامها؟؟

أرسل "يحيى" إلى الشاب من يخبره أنها أخت "يحيى" وكان ذلك كفيلاً بأن يبتعد عنها، فلا يوجد من يستطع أن يقف أمام "يحيى"، إنه لا يتردد فيما يفعل، ودائمًا لديه أفكار جديدة لا يوجد حلول لمواجهتها، حتى أصبح هناك مغرمون بأفعاله ويتحدثون عنه وكأنه أسطورة!.

******

اتصل القائمون على برنامج "أسرار المخابرات" - برنامج يهتم بالملفات الساخنة والقضايا الشائكة- بـ "شيماء" لتتحدث على الهواء في قضية انتحار رجل الأعمال "ناجي العلوي"، واكتشفت "شيماء" بعدها أن "ناجي العلوي" رفض أن يكون جاسوسًا للمخابرات الإسرائيلية، أو أي جهاز مخابرات آخر، لذا تم التخلص منه، وقيل أنه رفض أن يدخل عالم المخابرات أساسًا من أجل الاهتمام بمشروعاته الاقتصادية، علموا أنه باع كل ممتلكاته قبل الانتحار، و كان ينوي أن يعود لـ "مصر"، ولم يعرف أحد أين ذهبت هذه الأموال!، صرح مصدر مسئول أن "ناجي العلوي" لم يكن جاسوسًا بل كان رجلاً يفخر به المصريون.

فجأة وجدت "شيماء" نفسها محاصرة بالصحفيين والفضائيات، في حين أنها لم تكن تعرف شيئًا لتجيبهم به!، فالرجل الذي يتحدثون عنه ليس زوجها الطيب "ناجي"!، هل عاشت حياتها كلها مع رجل لا تعرفه؟!، وما مصير ابنه

"مصطفى" الغائب في "العراق"؟!، ولا أحد يعرف أية وسيلة اتصال به، هل من الممكن أن يُقتل بسبب أفعال أبيه؟!
قام "عادل" بطرد كل الصحفيين وأخبرهم أنه مجرد تشابه أسماء، و أن "ناجي العلوي" زوج عمته قتل بسبب ثأر صعيدي قديم، وحذرها من الكلام مع أي شخص، كانت الصدمة قاسية علي "شيماء"، لقد صُدمت في زوجها، صُدمت في الشاب الشامي الجميل الذي تعرفت عليه في "الولايات المتحدة"، والذي ظهرت صورته في البرنامج كخبير من جهاز المخابرات، إذن فالشاب الذي حاول التودد إليها وإيهامها بحبه لم يكن شاميًا وليس بشاعر، ولم يكن يحبها من الأساس!!، بدأت "شيماء" تتذكر كل شيء و تفسر الأحداث التي تعرضت لها عندما كانت في "الولايات المتحدة"، تذكرت أسئلة حبيبها الشامي، تذكرت جملة قالها لها زوجها ولم تفهمها إلا اليوم "إن مكانتي المميزة تجعل الكل يحاول أن يجتذبني إليه وأنا أحاول أن التخلص من الجميع لأحافظ على تجارتي ومصالحي".

أصبحت "شيماء" أكثر عصبية، وزادت الوحدة من عصبيتها، اكتشفت أنها عاشت عمرها كله في أوهام!، تشاجرت مع أخيها "يزيد" و طالبته بالنقود التي صرفتها عليه أيام الأزمة، كما تشاجرت مع أختها "نجلاء" واتهمتها بأنها شاذة وعاهرة، كما ادعت أنها شاهدتها مع فتيات صغيرات، نزلت للشارع تشتكي للجميع حالها، وسببت المتاعب للجميع والكل أصبح يشتكي منها!.
**

كانت "راحيل" تعلم أنها غير جميلة، و أن "ساري" الوسيم زميلها في الدرس لن يترك الجميلات وينظر لها هي!، تعرفت على "ساري" عندما كان يأخذ معها درسًا في اللغة الفرنسية عند عمتها "نجلاء"، و تحدثا لأول مرة أثناء ذهابهما لتصوير بعض الأوراق الخاصة بالدرس، إنه أول شاب يصف فيها جمالاً لم تره يوماً في نفسها، وبالرغم من عدم تصديقها لكلماته إلا أنها كانت تحب الاستماع إليه، كانت تستمتع بشدة عندما يهربان من الدرس ويذهبان ليجلسا في "كافيتيريا السرايا" أمام حمام السباحة، وكانت هي بالطبع التي تقوم بدفع الحساب، لأن ساري فقير، وحالته المادية متعثرة.
ألمح لها أخوها أنه يعرف كل شيء، أتى لها يوما في "السرايا"، ولم يعلق بأي كلمة، بعدها أخبرها أن "ساري" محتال، ولن يتحدث معها بعد اليوم، عندما

اتصلت بــ "ساري" أخبرها بدوره أنه لم يكن يتوقع أنها أخت "يحيى" واعترف لها أنه كان يستغلها ماديًا ولكنه بالطبع لا يستطيع أن يقف أمام "يحيى" وأعوانه، إنها مع الأسف لازالت تحبه حتى بعدما علمت أنه نصاب!.

**

ذات يوم بعد أن أنهى "يحيى" جلسة "الحشيش" شعر أنه يميل للسير بعض الوقت على الكورنيش، وهناك لاحظ فتاة تشبه "الجنّية" التي سمع أنها خرجت لـ "نجيب" عم والده، لكنها هذه المرة ترتدي ملابس مثيرة وغطاء شعر و معها شاب، من نظرة عينيها الجريئتين شعر أنها"مومس"، اقترب منهما وسأل الشاب:

- "إيه اللي جابك هنا؟!"

وعندما تكلمت "إش إش" نهرها وضربها بالقلم مرددًا:

- "الغلطة مش غلطتك..الغلطة غلطة اللي سايبك على حل شعرك"

ظن الشاب أنه أخوها أو قريب لها، لذا تركها وانسحب، هكذا تعرف على "إش إش"، بعدها عزمها على آيس كريم من محلات "راتب"، و اشتري لها ثوبًا جديدًا.

كانت "إش إش" من أسرة فقيرة جدًا، فرحت بحب "يحيى" لها ورأته مختلفًا يستطيع أن يصل إلى كل ما يريد بكل سهولة، فهو عنيد، قوي، وذكي.

وجدت فيه فارس أحلامها، وكانت هى تمنحه القدرة على الحياة، لقد أدمنها إدمانه "للحشيش" بل إنها أصبحت تمثل له أكثر مما يمثل له "الحشيش" في أشد أوقات حاجته إليه!.

الشيء الوحيد الذي كان يزعج "يحيى" هو طلبها الزواج منه، عندما سألته رأيه في الزواج منها، رفض الفكرة بشدة، وأخبرها أن الرجل لا يتزوج فتاة تجاوبت معه قبل الزواج، وتساءل كيف يعطي لها الأمان؟!!، ربما تخدعه كما تخدع أهلها الآن!.

**

المعادى

نجح برنامج " نور الهدى" في اجتذاب عدد كبير من الشباب و كبار السن، مقدم البرنامج أجد الدعاة الجدد، حليق الذقن، يرتدي بذلة أنيقة، اكتشفوا بعد أن ذاع صيته أنه هو نفسه "نور يزيد عزيز" الغائب!، يذاع البرنامج من "بيروت" على الهواء، اتصل "يزيد" بولديه "زكي" و"عادل" طالبًا منهما فتح التلفاز ومشاهدة أخاهم الغائب، سعادة "يزيد" بالاطمئنان على ابنه كانت لا توصف، ظهر "نور" أخيرًا كداعية يهيم الناس به، تصرفت "راحيل عادل" واتصلت بالقناة وحادثته، في نفس اليوم اتصل "نور" بأمه و أبيه، واطمئنا عليه، ووعدهما أن يأتي إلى "هيروبولس" في الوقت المناسب.

بعد نهاية موسم برنامج "نور الهدى"، حدد "نور" موعد حضوره إلى "هيروبولس"، فاستقبله "زكي" في سيارته الفاخرة، وتجمع الناس لاستقباله في "هيروبولس"، تحدث معهم ووعدهم بالخطبة في صلاة الجمعة قريبًا، بـ "مسجد الأربعين"، أمضوا ليلة مميزة بشقة "يزيد" احتفالاً بعودة الشيخ

"نـور" الـذي حكـى عـن فتـرة غيابـه وكفاحـه فـي "السـعودية" و تعلمـه أصـول الـدين، أخبـرهم بمـا حـدث عنـدما خـرج مـن البيـت فـي "مدينـة نصـر" واعتقالـه بتهمـة الشيوعية، و فـي السـجن تـاب إلـى الله ورجـع إلـى الحقيقـة، خـرج مـن المعتقل- قبل نصر أكتوبر- محبطًا يائسًا ولـم يستطع العودة إليهم بهذه الحالـة، كان خجلاً من نفسه لذا فر إلى "السعودية" وعمل هنـاك وتفقـه فـي الـدين، حتـى أصبح داعية معروفًا ومحبوبًـا، كـان دائـم البكـاء علـى ذنوبـه قبـل أن يضـيء الله بصره، سألته أمـه مستنكرة كيف هانت عليـه السنوات بعيدًا عنهـا، أخبرهـا أن حالته لم تكن تسمح لـه بالبقـاء، كمـا لـم يرد أن يسبب لهم المتاعب، لـذا فضّـل الابتعاد.

******

قدم "عادل" استقالته من البنك، ومع الوقت بدأ يشعر بـالفراغ، نصحه والـده أن يتعلم تنظيم رحلات الحج و العمرة، لكنه فضّل أن يجلس في البيت ويشرف علـى المقهى، بعد أن تركه ابنـه "يحيـى"، بـاع "عـادل" "البليـاردو" واشـترى أجهـزة كمبيوتر وقسّم المقهى إلى مركز إنترنت ومقهى عادي.

مع مـرور الوقت تعـود "عـادل" علـى الجلـوس فـي المقهـى، كـوّن مجموعـة مـن الأصدقاء أصحاب المعاشات بـالرغم مـن أنـه لـم يكـن يشـعر بالراحـة معهـم، كـان يـراهم مجموعـة مـن التـافهين الكسـالى، لا يملكـون سـوى الحـديث فـي عـدد مـن الموضوعات التافهة التي يدور أغلبهـا حـول الاخـتلاف بـين كـرة القـدم فـي بدايـة القـرن عـن نهايتـه، والتغيرات التـي حدثت للنسـاء، و صـب اللعانـات علـى الأجيـال الجديـدة، فكـر أن يـتعلم كيفيـة التعامـل مـع الكمبيـوتر، وسـاعده فـي ذلـك ابنـه "يحيى" وابنته "راحيل"، لفت انتباهه عالم "المدونات" فقرر أن ينشئ مدونـة أسماها "هيروبولس"، قـرر أن يكتب فيهـا عـن الحـرب والنصـابين واللصـوص وإخوتـه، إن التـدوين فكـرة عبقريـة للتعبيـر عـن الـنفس، ولكشـف الحقيقـة مـرة واحدة قبل أن تفارق الحياة.

كانت مدونتـه فـي البدايـة مجهولـة، لكنهـا حققت نجاحًـا فـي عـدد التعليقـات بعـد أن كتب عن الكوابيس التـي يراهـا أثنـاء نومـه بسـبب مشـاركته فـي حـرب "أكتـوبر"، حيث كان يرى من قتلهم يحاولون قتله، كتب عن أصدقائه ورؤيته لهم يستشـهدون وتتناثر أشلاؤهم أمام عينيه بسبب قنبلة أو قذيفة من دبابة، في تدوينة أخرى حكـى عن بطـل آخـر فقد قدمـه مـن أجـل الانتصـار ولكنـه اليـوم يتسـول**!**، كتـب حكايـات كثيرة عن الانتصـار والهزيمـة، ومـا حـدث للأبطـال الـذين دفعـوا حيـاتهم مـن أجـل

"مصر"، كان يدوّن باسم مستعار وفي سرية تامة، كوّن من خلال الإنترنت صداقات جديدة مع أشخاص يتفقون معه في الآراء ووجهات النظر، حتى قرر أن يحضر اجتماعات "المدونين" التي تتم في مقاهي وسط البلد، استطاع التدوين أن يغيّر حياته، شعر بقيمة صداقته لأناس يفهمونه ويشعرون به.

**

بعد أن تخرج "هيثم" رفض أن يتدرب في شركة والده، وفضل أن يتدرب في شركة للأوراق المالية، بعدها اشترى مقرًا في شارع "شهاب" بـ "المهندسين" وبدأ مشروعًا صغيرًا خاصًا به " شركة أوراق مالية "، تعثرت الشركة في البداية حتى شاركه رجل أعمال مصري يقيم في "دبي"، بعدها حققت الشركة نجاحًا ملحوظًا، عرض عليه شريكه السفر إلى "دبي"، فكر "ماذا يبقيه في "مصر"؟! ..ماذا فعلت له "مصر"؟!.. الحياة في دبي أفضل من "مصر"، ووافق على فكرة السفر، صُدم "زكي" عندما علم رغبة ابنه الذي أخبره أن أغلب أصدقائه افتتحوا مشاريع تجارية هناك، وحققوا إنجازات تجارية على مستوى الاقتصاد العالمي، كما أنه كوّن فكرة جيدة عن السوق في "دبي" من خلال زياراته الأخيرة.

أخبر والده أن "مصر" بلا مستقبل في رأيه، سافر"هيثم" ولم يغلق شركته في "مصر"، بل تركها تحدت إدارة مساعديه وأخته "ياسمين" التي تولت منصب المدير التنفيذي للشركة بجانب دراستها.

**

لم يحب "نور" كلمة داعية، وكان يرى نفسه مصلحًا اجتماعيًا أو إعلاميًا، ويبرر ذلك بأنه لم يتخصص في الدين، وكل ما يُلقيه ما هو إلا اجتهاد شخصي، كما أنه لم يكن يخجل من ذكر ذنوبه وأخطائه في خطبه، فخير الخطاءين التوابون.
كلما تذكر عقاب الله سبحانه وتعالى للزاني كان يبكي بشدة، ويستغفر ربه، آملاً أن يغفر له ذنوبه التي ارتكبها قبل التوبة، لم يتزوج "نور" لانشغاله بشئون الدعوة، كان سببًا في هداية وتوبة كثيرين، في إحدى حلقات برنامجه أتاه صوت "سارة" تسأله عن زوج غاب عنها منذ أكثر من عشرين سنة، جذب الصوت "نور" إلى عالم آخر من الماضي، علق مقدم البرنامج:
ـ "صوتك يا مدام يشبه صوت الفنانة "سارة" .. في البداية ظننت أنها من تهاتفنا".

شرد "نور" بخياله ولاحظ المعد عليه ذلك، فأخبر المتصلة أنه سيجيبها بعد الفاصل، طلب "نور" فنجانًا من القهوة لأنه مرهق جدًا، كما طلب الانتهاء من البرنامج بسرعة لأن ذهنه لم يعد حاضرًا.
بعد انتهاء الحلقة اتصلت به "سارة" وطلبت رؤيته، أخبرها أنه في الطريق إلى مكتبه بـ "المهندسين"، أخبرته أنها ستحضر إليه، وطلبت منه ألا يغلق الخط حتى تحضر، وليحكي لها أثناء ذلك كل ما مر به منذ رأته آخر مرة وحتى الآن.
علم أنها أحضرت الرقم من صحفي تثق أنه لن يسرب الخبر، أبدى لها قلقه من أن يصورهم أحدهم، إن صورة داعية مع ممثلة إغراء صورة تتسابق عليها الصحف والمجلات!، فطمأنته، ذهبت إليه مرتدية النقاب، ومعها مساعدتها، أخبرته أنها لازالت تنتظره ولم تتزوج من أجله، وأنها لم تنس ليلتهم الوحيدة، ودار بينهم حوار:
ـ "أنا كمان فاكرها كويس ..و كل صلاة بستغفر منها ..وبتمنى أن يقبل الله توبتي".
- "إنت شايف حبي غلط و حرام؟؟! .. شايف انتظاري كل السنين دي حاجة تستغفر منها؟؟!!..أنا معتبرة نفسي زوجتك".
**
بعد أن التحقت "راحيل" بكلية "الإعلام" جامعة "القاهرة"، أقامت في "فيلا" عمها بـ "المعادي"، اقتربت "راحيل" من ابنة عمها "ياسمين" والتي لم تكن تعرفها جيدًا من قبل إلا من خلال الزيارات القصيرة في المناسبات و الأعياد.
كانت "ياسمين" تنظر لـ "هيروبولس" على أنها مدينة ميتة، لا يسكنها إلا سكان المقابر الذين ينامون بعد صلاة العشاء، وكانت "راحيل" تكِّن بداخلها احتقارًا لكره "ياسمين" لـ"هيروبولس"، وترى أنها نظرة سطحية لمدينة لو عرفت حقيقتها لتمنت أن تعيش فيها للأبد، كما ترى أن جهل وعجرفة "القاهريين" تجعلهم دائمًا ينظرون للأقاليم على أنها أقل منهم، بالرغم من أن الأقاليم دائما ما تدفع ثمن أخطائهم و تحميهم أوقات الأزمات، كما أن سكان الأقاليم لم يلوثوا مثل القاهريين ولم يحصلوا على كميات من الهواء الأسود الملوث الموجود في سماء "القاهرة".
مهما كانت الحياة في أي إقليم محدودة، فهي حياة بشرية أفضل من الحياة الحيوانية والهمجية التي يعيش فيها غالبية القاهريين، هل يستطيع أي قاهري أن يتخيل كيف يأكل لو انفصلت الأقاليم عن القاهرة؟؟، ما هي مصادر رزق القاهريين؟؟، إن أي إقليم يمتلك صناعات و زراعات أفضل من "القاهرة"!.

خصص "زكي" لابنة أخيه "راحيل" غرفة منفردة وسيارة بسائق، لم تعتد "راحيل" على مثل هذه الحياة المرفهة، فكانت تطلب من السائق أن ينزلها بعيدًا عن باب الكلية، كانت تخجل من شعورها بالرفاهية، وتشعر أن السيارة تسبب لها الحرج، كانت تعلم أن السيارة وضع مؤقت، وهي تريد أن تتعايش مع طبقتها محدودة الدخل، وإن شاهدها أحد بالسيارة ربما يغير نظرته لها، فلا يقترب منها إلا لأنها تمتلك سيارة!، كما أنها لا تستطيع أن تتجاوب مع طبقة الأغنياء لاختلاف ميولهم وأساليب وطرق حياتهم عنها.

كانت تشعر أنها مختلفة عنهم، تشعر بغربة وسط أصدقاء "ياسمين"، لم تنكر أنها تعلمت منهم أشياء كثيرة، منها فنون الموضة والاجتهاد في العمل والاهتمام بالمظهر وتنمية المهارات والثقة بالنفس وعدم التفريط في حقها تحت دعوى حب الأهل وحب المجتمع وحب الناس وغيرها من الشعارات التي لا تفيد أحدًا، كانت في البداية تشعر أن "الفيلا" كبيرة عليها فتنزوي داخل حجرتها وتشعر بالوحدة، كانت زوجة عمها "هبة" تعاملها مثلما تعامل "ياسمين" فأحبتها جدًا، طلبت منها أن تناديها بـ "ماما"، في البداية ترددت، و لكن الكلمة خرجت من داخلها، صحيح لا يوجد من يعوض الأم، ولكنها تشبه أمها في حبها لها.

بدأت تتقرب من "ياسمين" وتذهب معها إلى النادي، اقترحت "هبة" عليها أن تذهب لطبيب أخصائي لإنقاص وزنها، وشجعتها "ياسمين" على اتخاذ القرار.

طلبت "راحيل" من "ياسمين" أن تشاركها غرفتها لأنها تشعر بالوحدة فيها، زاد ذلك من تقاربهما حتى أصبحن كالأخوات، اكتشفت "راحيل" أن "ياسمين" تشبهها إلى حد كبير، وتأكدت أن العوامل الوراثية تقرب بين الطباع أكثر مما تتخيل، في جلسة عائلية طلب الشيخ "نور" من "ياسمين" أن ترتدي الحجاب، فرفضت تدخله بشدة ثم تركتهم ومضت.

ثم تحدثت مع أبيها قائلة :

ـ "هو ماله أساسًا ..أنا أحسن من مليون محجبة بتلبس الحجاب و تمشي على حل شعرها..أنا محترمة نفسي من جوه..قال ألبس الحجاب قال..اسمع يا بابا عشان ماحدش يزعل مني.. لو فتح معايا الحوار ده تاني..أنا هرد عليه جامد..أنا احترمته النهارده بس عشان خاطرك".

حاولت "راحيل" تهدءتها، ولكن "ياسمين" انهارت وأخذت تبكي، لم يحدث شيء يستحق كل ذلك، ولكنها غاضبة لربطه بين الأخلاق و الحجاب، فهل هي عديمة الأخلاق؟!!
زاد غضب الجميع بعد اتصال "هيثم" الذي أخبرهم أنه سيتزوج أخت شريكه، فتاة غنية ستختصر عليه الكثير من أحلامه، وحدد موعد الفرح في الأسبوع القادم،
أبدى "زكي" غضبه بشدة من تصرف ابنه، وبكت أمه "هبة"، رأت "ياسمين" أنه من الأفضل الاستسلام للأمر الواقع والاستعداد للسفر.

**

تعجب الجميع من ارتداء "سارة" للحجاب، تحدثت عنه الصحف وبرامج "التوك شو"، تحجبت "سارة" وقدمت مسلسلاً بالحجاب لم يلق النجاح الذي كانت تلاقيه أعمالها السابقة، طلبت منها قناة فضائية أن تقوم بتقديم برنامج تدعو فيه المسلمات لارتداء الحجاب، حقق البرنامج نجاحًا محدودًا نظرًا لكثرة البرامج التي يقوم بتقديمها الفنانون المعتزلون، كانت قلقة بشأن "نور" فهو لم يعد "نور" الذي عرفته في الماضي، أصبح يفكر كثيرًا ويحلل كل التصرفات، وكل شيء عنده بحساب، حتى بعد الحجاب لم يفاتحها في أمر الزواج..!!، أقام الحجاب حاجزًا بينها و بين جمهورها، ولكن الله أمرنا به، بماذا يفيدها جمهورها أمام الله يوم القيامة ؟

**

في مواجهة تليفزيونية فضائية تدور حول الجان والأشباح، حضرها الشيخ "نور" على الهواء، كان "نور" يقف ضد الخرافات بشدة وينفي ارتباطها بالدين الإسلامي، كانت مفاجأة قاسية عليه عندما ذكر رجل - من المؤمنين بعالم الجن والأشباح- أنه متزوج من ابنة عمه "نجيب" الذي رحل مع الجنيّة "ماسي"، ارتبك "نور" لحظات، هو يعلم أن عمه كان مدمنًا للمخدرات و"الحشيش" ولا يستطيع أن يعترف بالحقيقة، وبالرغم من ذلك فلن يترك الشيخ ينتصر عليه، إنه يعي أنه يشكل عقول أمه ثقافتها سمعية، رجعت إلى الدين وتريد أن تطبق فروض الله، ابتسم "نور" و قال:"عمي مات غريقًا في بحر غرق فيه الكثيرون من أهالي "هيروبولس"، سوف أفترض لدقائق أن كلامك صحيح، أرني إذن بقدراتك في عالم الجن كيف تمحي "إسرائيل"، قد يكون ذلك صعبًا، فهل تستطيع

أن تعرف مثلاً سر صناعة "السفن أب ؟"، كان "نور" يعلم أن فضيحة عمه "نجيب" قد تؤثر عليه وعلى مستقبله الإعلامي!.
**
لاحظت "ياسمين" أن هناك شاباً يتتبعها ويراقبها من بعيد، عندما سألت صديقة لها علمت أنه ضابط ، فزاد استغرابها، طمأنتها "راحيل" فالموضوع أبسط مما تتصور، وقد يكون معجبًا بها كغيره من الشباب، ضحكت و قالت لها:
- "أنا اللي اسمي بنت معجبة بيكي و بجمالك و رشاقتك!".
وضحكتا سويًا، فكرت "راحيل" أن تمارس هوايتها في الكتابة في مجلة شبابية جديدة تسمى "كلمتنا"، تعتمد على الشباب الموهوب، كان مقرها شقة صغيرة في "المهندسين"، تعرفت عليها عن طريق أختها الإنجليزية مجلة "Teen Staff" التي نشر فيها حوار أُجري مع "ياسمين" كأصغر مديرة شركة أوراق مالية، أحبت "راحيل" المجلة وبدأت تقدم أعمالاً كثيرة، لكن لم ينشر لها سوى عمل واحد فقط، أما الباقي فلم يُنشر.

**
تعرف "عادل" على موسيقى "الراب" التي أعجبته بشدة، ورأى أنها تشبه موسيقى "السمسمية" التي تعتمد أيضا على النقد الذاتي للمجتمع والتي تعبر عنه وعن مشاكله وتسخر من كل شيء، من المجتمع والفنانين والزعماء والرؤساء "عبد الناصر" و"السادات"، وقتها كانت البلد في حالة يرثى لها، وجاءت "السمسمية" لتعبر عن هذه الحالة، كتب في مدونة "هيروبولس" بعض ذكرياته عن "السمسمية" وعلاقتها بموسيقى "الراب" ولاقت التدوينات نجاحًا كبيرًا ظهر في عدد التعليقات، واقترح بعضهم أن يقيم حفلة ويغني مرة أخرى، شعر بحنين لذلك، فلم يغن على "السمسمية" منذ ثلاثين عامًا!، لكنه اعتذر لعدم وجود فرقة، فكيف يجمع أصدقاءه الذين شاركوه في حفلات "السمسمية" قديماً؟!، بينهم من توفى، ومن هاجر إلى "العراق"، ومن ترك "هيروبولس" ليعيش في "القاهرة" أو أي محافظة أخرى، بدأت فكرة تكوين فرقة للـ "سمسمية" تلح عليه، وشجعته عليها ابنته "راحيل" في عطلة نهاية الأسبوع التي كانت تحافظ على أن تقضيها معه في "هيروبولس" وقالت له:
- "الفن شيء راق..يرفع من إحساسنا بالأشياء..واهتمامك بإحياء فن جميل سوف يحيي شيئًا من التراث..وربما بسببك يعود لـ"هيروبولس" رونقها القديم".

وجد "عادل" أن كل فرق "السمسمية" الحالية تغني للحب وأشياء عادية، معتمدة فقط على إيقاع "السمسمية"، ولذلك ليس لهم وجود على الخريطة الغنائية، إن من يحتاج للأغاني العاطفية فلديه "عمرو دياب" و أمثاله، كيف تغني "السمسمية" أغاني عاطفية ونحن قد سخرنا يومًا من أغاني "عبد الحليم" العاطفية حين كنا نرى أن حنجرته لا تصلح لغير الاستغلال في القتال فقط؟!!، كتب في مدونته أيضا كلمات الأغنية المجمعة من أغاني "حليم".

"لا مش هغني للقمر
ولا للشجر
ولا للورد ف غيطانه
و ما نيش سواح
ولا أقول للهوا..طوحنا
طول يا بلدي
ما فيكي شبر مستباح
لأ مش ح أغنى للقمر
لأ مش ح أغنى غير للمدافع
ولكل إيد واقفة تدافع"

عندما سمع "نور" من "راحيل" أن أخاه ينوي تكوين فرقة "سمسمية"، جاء مسرعًا إلى "هيروبولس"

- "إزاي يا أستاذ تبقى أخو داعية إسلامي وعندك فرقة غناء؟..مش كفاية أخوك اللي سايب بنته متبرجة .مفيش حد بيراعي مركزي ولا قيمتي؟"
- "لو رديت عليك هتحصل مشكلة كبيرة ..اتفضل اطلع بره"

**

حضر "زكي" إلي "هيروبولس"، واجتمع مع أبيه "يزيد" وأخيه "عادل"، اشتكى "عادل" له مما فعله "نور"، أيد "زكي" رأى "نور"، ولكن ليس هذا ما يهمه الآن، فما يهمه هو الموضوع الذي أتى من أجله، فقد جاء ليستشيرهم في عرض ترشيحه على قائمة الحزب الوطني، أيد "يزيد" العرض وحذره من أثاره السيئة، بينما رفض "عادل" بشدة، ثم قال له ساخرًا "انت فاسد وتستحق أن تكون من

لصوص مجالس الشعب"، اعتاد "زكي" أسلوب أخيه "عادل" الذي يتحمله لأنه يستفيد من آرائه، أخبرهم في النهاية أن الوضع خرج من بين يديه، و أنه وافق، فهو يحتاج إلى الحزب وحصانة المجلس لدعم مركزه المالي.
علق عادل ساخرًا
- "ستخدم فسادك!".
اشترى "زكي" شقتين في برج "بلير" وافتتحهم كمقر انتخابي، كما جهز شقته في عمارة العائلة، وتولى "يحيى" كل الأمور، كانت سعادته بعودة عمه "زكي" إلى "هيروبولس" لا توصف، فقد كان "يحيى" يحبه ويرى فيه مثلاً أعلى بدلاً من والده الفاشل - في رأيه- الذي يجري خلف المزيكا، أما عمه "زكي" فهو الوحيد الذي سينقله للعالم الذي يتمناه، إن "هيثم" لا يستحق أبًا مثله!.
**
اتصلت "صفية" بابنها "زكي" على المحمول، كانت غاضبة لأنه جاء إلى "هيروبولس" ولم ينتظرها حتى تراه، مما دفعه للعودة إليها مرة أخري عبر الطريق الصحراوي، طلبت منه أن يشتري لها "عِجلاً" حتى تفرقه على الفقراء وفاء لنذرها بعد عودة أخيه، ووافق على الفور، اشترى "العِجل" من صديق له يمتلك مزرعة وأرسله إليها، جهزت لذبحه فرحًا بعودة ابنها "نور" ووفاء بنذرها، تعرف أنها تأخرت كثيرًا ولكن تأخيرها كان بسبب ظروفها الصحية، كان يومًا طويلاً أشرف "عادل" و "يحيى" و"يزيد" على عملية الذبح، نزلت "صفية" بنفسها ومعها "يحيى" توزع اللحم على الفقراء أمام مسجد "الأربعين"، تزاحم الفقراء عليها، أثار ذلك عصبية "يحيى" الذي تمالك نفسه وحبس ألفاظه لوجود جدته معه، والتي ذهب معها بناء على طلب من عمه "زكي" الذي لا يعصى له أمرًا، بعد أن اطمأنت أن "العجل" تم توزيعه، عادت إلى بيتها، وأخذت حمامًا دافئًا وصلت العشاء، ثم حمدت ربها، وآوت إلى فراشها سعيدة وراضية عن نفسها.
قال لها "يزيد":
- "إنتي تعبتي نفسك قوي النهارده".
نامت ولم تستيقظ مرة أخرى!، كان نشاط الفراق، وقف أبناؤها الثلاثة في سرادق العزاء، يجمعهم الحزن وآلام الفراق، انهار "يزيد" في المنزل ولم يستطع الذهاب وأخذ العزاء، رحلت الحبيبة والأخت، رحلت الغالية.
**

وجدت "راحيل" في البداية صعوبة في الخضوع لنظام غذائي مقيد، وكانت تستيقظ في الليل لتأكل، إنها تحب الطعام فهو متعتها الوحيدة، حاولت "ياسمين" منعها من الطعام، ولكنها خشيت أن تفسر حرصها عليها بصورة خاطئة، فتركتها، لكنها كانت تحثها على محاولة إنقاص وزنها لأن ذلك أفضل لها.

ذات يوم أثناء تناول "ياسمين" الطعام مع والدها بمطعم النادي، اقتحم الشاب الوسيم المائدة وسلم على "زكي"، شعرت "ياسمين" أنها خطة من والدها لإقناعها بعريس بطريقة غير تقليدية، وتأكدت من ظنونها عندما طلب "زكي" الغذاء ثم انسحب بعد أن أتاه تليفون هام يخص عمله، فذهب تاركًا "ياسمين" مع "أحمد شوقي" الذي عرفها بنفسه، وأخبرها أنه مهتم بها من فترة، ويعرف عنها كل شيء، أحست أنه يمتلك شيئًا خاصًا يميزه عن باقي الرجال، ثقة، رومانسية مفرطة، غرور و ضعف إنساني جميل، إنه يمتلك متناقضات في تناغم غريب، طيب لكنه قوي.
كان "شوقي" من أسرة كبيرة لها تاريخ مشرف في جهاز الشرطة، إنه شاب مستقيم ووسيم، ليس له أية تجارب عاطفية سابقة، فهو مخلص في عمله كما كان مخلصًا في دراسته، كان دائمًا يحب من طرف واحد ولا يقترب من التي يحبها أو يتقدم لها، عدا "ياسمين" التي شعر منذ البداية أنها مناسبة جدًا، وأنها من يحتاج إليها لتشاركه حياته، تمنى أن يكون أبًا لأطفالها وأخبرها بذلك.
**

تحدث "زكي" أكثر من مرة أمام "يحيى" عن معاناته مع زوجته "هبة" التي لم تكن على هذه الهيئة عندما تزوجها، تذكر "يحيى" أحلام "إش إش" في الوصول لقمة المجتمع حتى لو كان المقابل جسدها الذي لا تستفيد منه، وفكر إن قدمها لعمه فسوف يستفيد ويلعب بكل الأطراف من أجل مصالحه، صحيح سيخسر أكثر جسد عشق تفاصيله، لكن المقابل هو تحقيق الأحلام، لابد أن تضحي بأغلى الأشياء من أجل أن تقتني أشياء أغلى وأثمن.

خرج معها مرة أخيرة، لم يحاول لمسها أو مداعبتها كما هو معتاد، أحست أنه ليس في حالته الطبيعية، اختصر الطريق وعرض عليها الموضوع في ارتباك شديد وثقة أشد في موافقتها قائلاً "هناك رجل غني قريب لي يحتاج إلى فتاة

صغيرة..تهون عليه متاعب عمله..وأنا أرشحك للقيام بذلك..سوف ينقلك هذا الرجل من الفقر إلى الغنى".

بعد ذلك ذهب بها إلى عمه وعرّفه عليها كفتاة جاءت لتعمل معهم في المكتب، وتساعده في كل أعماله، نظر "زكي" إلى جسدها الفائر، ووافق على الفور.

**

لم يكن "شوقي" في يوم ضابطًا قاسيًا، وكان يرى أن الضابط يشبه الفارس، لابد أن يكون شريفًا طاهرًا رومانسيًا وحالما، يحقق العدل بين الناس، كان دائم الصراع مع صديق له في القسم يستخدم أساليب غير آدمية في استجواب المتهمين، كان "شوقي" يعيش في صراع دائم بين صورة الضباط كما يراها في خياله وبين الواقع الذي يحدث، أحب "ياسمين" وأخلص لها وأحب مثلها رقصة "الصالصة" وشاركها في رقصها، كان يوم "ياسمين" مقسمًا بين العمل في شركة الأوراق المالية، والمذاكرة، وكليتها، وحبيبها "أحمد"، وتمرينات "الصالصة" التي تتخلص فيها من كل همومها وأوهامها، وفرحت بشدة عندما وافق أن يكون شريكها في التمرينات.

**

انتقلت "إش إش" من الحياة في أسرة فقيرة تحت الأرض إلى فتاة ترتدي أرقى الثياب، سافرت لأول مرة في حياتها إلى "شرم الشيخ" و"مارينا"، كما ذهبت إلى "العين السخنة" التي كانت تسمع عنها، كان شرطها وطلبها الوحيد أن يحافظ على عذريتها، ليفعل أي شيء و لكن يتركها في النهاية عذراء، فالشرف أهم من أي شيء، و الفتاة الفقيرة لا تمتلك إلا شرفها، الحياة بها الكثير من المتع التي ضاعت منها ومن أمها بسبب فقرهم.
و لم تعد "إش إش" تهتم بـ"يحيى" و لا بصدمتها في حبيبها النذل، إنه الواقع وعليها أن تحصل على أفضل الاختيارات، وإن مارست الفجور فيجب أن تمارسه مع شخص يقدرها ماديًا، إنها تمتلك أسرارًا تجعلها ملكة متوجة إن أرادت، تمتلك جسدًا يحبه الرجال.
أحبها "زكي" ومع جسدها شعر بالحرية التي لم يشعر بها من قبل، لم يشعر بها مع "هبة"، فكان دائما يشعر أن "هبة" تقود الموقف وتسيطر على كل شيء عكس

"إش إش"، يعلم أنها تحبه من أجل أمواله وما يوفره لها من متع، لكنه في النهاية يستمتع بما يدفعه لها، أو بمعنى أصح بالمقابل الذي يرضيه.
تزوجها عرفيًا وأخبر أهلها حتى يتمكن منها، و عاش معها خيالاته المريضة، بعد كل هذا العمر حقق ما تمناه في أحلامه، أحضر لها من الخارج ملابس وألعابًا، إن بداخلها طفلة تحب اللعب، إن سعادة الإنسان الحقيقية تكمن في الحب

**

كان "زكي" يتعجب من تصرفات ابن أخيه "يحيى"، ومن أين أتى بكل هذه الجرأة، من أين أحضر كل هذا الذكاء!، كان "يحيى" يستطيع أن ينهي أو يقضي على أي خصم بمنتهى السهولة!.

كان يجيب استفسارات عمه بابتسامة، ويفسر ذلك بأنه يهتم بالمعلومات، فعندما يسمع أية معلومة يحفظها، حتى لو كانت عن شخص لا يعرفه، فقد يعرفه يومًا ما، والحقيقة التي لم يخبر بها عمه أنه كان يحضر معلوماته من جلسات "الحشيش"!

استطاع "زكي" بمساعدة "يحيى" والحزب أن يقضي على كل خصومه، منهم من هددهم بتاريخ أسود، ومن هددهم بعلاقة مع عاهرة، وكان "يحيى يسعى ليحضر إثباتات كصورة مخلة للشخص الذي يريد أن يقضي عليه، و يهدده بنشرها، بدأ "زكى" يعطي له كل الأموال التي يطلبها خوفًا من أن يفضحه مثلما كان يفضح الآخرين!.

**

فجأة تحول الضابط النشيط إلي متهم في قضية اغتصاب رجل مصورة بالمحمول، إنها فضيحة جديدة تسجل في تاريخ عائلة آل "عزيز"، خاف "نور" على سمعته، وخاف "زكي"، أما "ياسمين" فصدقت أنه بريء، منذ فترة و هو يأتي ليبكي في حضنها، بكاء يشبه بكاء الأطفال، إنه نقي وطيب يشبه الأطفال في غضبه فكيف يفعل ذلك؟!، تم إيقافه عن العمل حتى يصدر حكم القضاء، كثرة حزنه وبكائه لها جعلها تدرك أنه يمر بمشكلة صعبة في العمل، مع الوقت علموا من الجرائد أنه تورط في قضية تعذيب حدثت داخل القسم الذي يعمل فيه، وتم

تصويرها بواسطة المحمول، بالرغم من أن أحدًا لم ير صورته، ولكنهم يشكون في صوته، ولكنه أقسم لها أنه بريء وأن ما يحدث مجرد أحقاد.

**

جلس "نور" مع والده "يزيد"..يتحدثان عن حالهما، حتى نام "يزيد" ووقف "نور" في "البلكونة" يفكر.. "لا أحد يفهمني أو يقدر أهمية المكانة التي وصلت إليها..أخطأت عندما عدت لـ"مصر"..كان عليّ أن أتوقع ذلك..أهلي لا يرفعون رأسي وسوف أدفع ثمن أخطائهم..في جرائد أعداء الدعوة سيفتحون ملفاتي السرية..ويعرفون أن أخي يمارس الغناء..والثاني يمارس الفساد..ليتني بلا أهل..لا يحاسبني أحد عن نفسي فقط..الكل يحاسبني على تصرفاتي و تصرفات أهلي..الله أمرنا بصلة الرحم..وأنا عاجز أن أصل رحمي..عاجز أمام فضائحهم و مشاكلهم..أنا أحب الله ولا أحب "سارة".. وإن كان في نفسي حنين لها..فهو حنين من الشيطان..حتى بعد أن تحجبت لا أستطيع أن أتزوجها..فإن تزوجتها في "مصر"..سوف يطاردني تاريخها و الأفلام سيئة السمعة التي شاركت فيها..ربما كنت سبب ذلك..ولكن المهم الآن..هل أقبل عرض المؤسسة و أهاجر إلى "الولايات المتحدة" وأقدم برامج دينية هناك..الحقيقة أني قلق من تقديم الموسم الثاني من برنامجي من "بيروت"..فالوضع سيء هناك..و الحرب على وشك الاندلاع..علي أن أصلي صلاة استخارة.. والخيرة فيما يختاره الله".

**

تعجب الجميع من حال "يزيد" والحزن الذي تمكن منه فجأة، بعد أن جلس فترة طويلة في اجتماع مغلق مع حفيده "يحيى"، كما خرج "يحيى" غاضبًا بسبب غرابة وكثرة أسئلة جده، اقترب "عادل" من والده وصنع لهما فنجاني قهوة محوجة مخصوصة، وأشعل لوالده سيجارة، و انتظر ليعرف ماذا يدور في رأس والده الذي قال له:

- "إن الوضع الآن ليس طبيعيًا.."هيروبولس" قد تتعرض للخطر..فإذا اندلعت حرب الآن من يدافع عنها؟؟!..إن الحروب لا تقام بين الجيوش فقط بعيدًا عن المواطنين..أنا متخيل الوضع وخائف جدًا..لقد فقد أبناؤنا الشعور بالانتماء..أعطني سببًا واحدًا يجعل ابنك و أصدقاءه ينتمون إلي أرض تطردهم و تبخل عليهم بخيرها..الهدف من أي حرب ليس فقط النصر العسكري السريع..إنما الهدف الأسمى هو تدمير البلد ثقافيًا واجتماعيًا وجعلها غير قادرة على مواجهتك

في المستقبل..أنا خائف..خائف بشدة..من سيحمل اسم آل "عزيز" من بعدك يا "عادل؟""؟!!
- "بالتأكيد ليس ابني "يحيى"!.
**

الفرح

ثبتت براءة "شوقي" وتم عقاب المذنبين في القضية، حيث أثبتت التحقيقات أنه يومها كان مع خطيبته في رحلة إلى "شرم الشيخ"، لكنه لم يخرج كما دخل، عاد لعمله شاعرًا بالظلم والقهر من وسائل الإعلام، جاء خبر براءته كأنه شيء عادي

بدون لفت النظر إلى ما تعرض له من تشويه لسمعته، الناس لا تصدق إلا ما يقال في وسائل الإعلام، تمسكت "ياسمين" به ورفضت طلبه بالانفصال، نصحتها أمها أن تتمسك به، فما تعرض له ليس بالهين على شخص مثله، تربى في جو يحيطه الاحترام والتقدير من الجميع، طلبت "هبة" من زوجها الإسراع بالزواج وعمل فرح في "هيروبولس" للاستفادة من الفرح في الدعاية الانتخابية ومجاملة كل كبار "هيروبولس".

اتفق "زكي" مع اللواء "شوقي" حمي ابنته أن يتم الزفاف الخميس القادم حتى تتحسن حالة "أحمد" النفسية.

**

تم الاحتفال بالزفاف في "بور توفيق"بفندق يقع على البحر حضره عدد كبير من الشخصيات الهامة، ارتدت العروس فستانًا أبيض عاري الكتفين والظهر، تم شراؤه لها من "باريس"، وكانت الشبكة عبارة عن خاتم وحلق من الماس وأهدى لها والدها عقدًا من الماس والأحجار الكريمة، وارتدى العريس بذلة سوداء وبدت عيناه مضيئتان مرة أخرى.

كانت فرحة "هبة" لا توصف، وكانت تدور في القاعة للتأكد من أن كل شيء على ما يرام، كان يذهب لها "زكي" من وقت لآخر، يخبرها أنه دفع مبلغًا ضخمًا للفندق ليقيم الاحتفال، فمن الممكن أن تستريح، فتنهره وتتأكد من كل شيء بنفسها!.

جلس الجد "يزيد" مع والد العريس و عدد من أصدقائه، وأخبرهم أنه كان ضابطًا في الشرطة قبل الثورة، و استمر في الحديث عن تاريخ الشرطة وكيف دافعت عن البلد في أصعب الظروف، كما حدثهم عن خوفه من المستقبل، فالقادم أسوء لأن الشباب فقدوا الانتماء، ولن يستطيع الجيش والشرطة حماية دولة بدون أن يريد شعبها ذلك، لم يهتم أحد بكلامه، ونصحه ابنه "زكي" أن يصمت لأنه في فرح ابنته.

لم تحضر "شيماء" الفرح، خافت ابنتها " هبة " أن تسبب قلقًا في الفرح بسبب لسانها الحاد، ولم تحضر "نجلاء" لتجلس مع أخته لاشتداد المرض عليها.

لم يجلس "نور" طويلاً وأبدى اعتراضه على فستان العروس، في حين أخبره الجميع أنها ليلة العمر، وحتى لا يلفت النظر، توجه إلى العروسين و بارك لهما ودعا لهما في "المايك" ثم انصرف.

جاءت "سارة" مرتدية النقاب وعرف الحاضرون أنها دخلت في نوبة اكتئاب بعد تهرب "نور" منها وإخبارها أنه إذا كان يريد الزواج لتزوج منذ ثلاثين عاماً!، الناس لن تسامح داعية إسلاميًا يتزوج من فنانة كانت تقدم أدوار إغراء، حتى لو تابت واستغفرت.
تحدثت مع الحاضرين عن ندمها وكيف اهتدت لنعمة الإيمان، فبعد أن كانت تنوي تقديم برامج دينية وعلمت أن صوت المرأة عورة، فضلت أن تجلس في البيت.
حضر "هيثم" متأخرًا بسبب الطيران، فنزل أولاً في مطار "القاهرة" ثم انتقل بالسيارة إلى "هيروبولس" بسبب عدم وجود مطار هناك.
ارتدى بذلة بيضاء، جاءت معه زوجته ورضيعها على يديها، لاحظ "هيثم" اقتراب "يحيى من أبيه، ولكنه لم يمانع فهو مشغول في عمله بـ "دبي".
لمح "عادل" عيونًا يعرفها جيدًا، إنها حبه القديم " سعاد ".
عاد به الزمن لأيام الجامعة، أقسمت قديمًا أنها لن تأتي لـ "هيروبولس"، ولكنها الآن جاءت، اقترب منها وسلم عليها، و بادر أخاه "زكي" قائلاً:
ـ "عم العروسة أخويا المحاسب "عادل"".
ـ "الحاجة "سعاد" خالة العريس".
قال في نفسه"هل تأتي اليوم يا "زكي" تعرفني عليها..وقد كنت في يوم من الأيام أحق شخص بها..كنت أعرف كل شيء عنها..أعرف ما يسعدها وما يغضبها.. ذكريات رحلة "الأقصر" و"أسوان" لازالت حاضرة في ذاكرتي..كل شيء فعلناه من أجل الحب أتذكره..دفء حضنها ..ملمس خدها".
ـ "أهلا بيك يا أستاذ "عادل"".
ـ "أهلا بحضرتك".
تابعها "عادل" بعد ذلك فجدها تتشاجر مع زوجها، عرف أن الله يحبه لأنه لم يتزوجها، فقد تغيرت مثل باقي الأشياء التي تزداد قبحًا مع الأيام!.
تمنى "عادل" أن يمنع "يحيى عن "زكي"، ولكن "يحيى" خرج عن حدود وحسابات أبيه، إن الطيور على أشكالها تقع، استغل "يحيى" الفرح وتعرف على عدد من صديقات أخته "راحيل" وصديقات "ياسمين" ورقص معهن، كان سعيدًا جدًا وهمس عمه "زكي" في أذنه:
ـ "لا تقلق..عروستك عندي".
ـ "بس عايزها بنت جسمها جامد".
ـ "وقاحتك دي بتفكرني بواحد عزيز عليا..يلا عيش حياتك.

نظرت العروس ياسمين إلى "راحيل" -التي فقدت الكثير من وزنها وارتدت فستانًا جميلاً- وقالت لها:
- "أنا خايفة من الجواز".
ابتسمت و قالت لها :
- "لا وقت للتراجع".
نادى "الدي جي" على العرسان ليرقصا على أغنية رومانسية بسيطة، بعدها شارك الحاضرون في الرقص، ورقصا رقصة "الصالصة" وذهل الجميع من براعتهما!.
**
أمضى "هيثم" وزوجته الليلة في شقة الجد، و في الصباح، طلب الجد "يزيد" أن يتحدث مع "هيثم" الذي لم يكن يحب الحديث بدون داع، والناس في "هيروبولس"- حسبما يرى - يحبون الكلام الكثير، والحياة في "هيروبولس" مملة جدًا، أعطى له "يزيد" قطعة من قماش الكعبة يرجع عصرها لمئات السنين، ودار بينهما حوار...
- "بعد ما تخلص شغلك في "دبي" لازم ترجع تعيش هنا".
- "صعب يا جدي..الحياة في "دبي" مختلفة جدًا عن هنا".
- "عارف بس هنا أصلك وتاريخك..عارف إن كلامي ملوش قيمة عندك..بس لما تكبر في السن و تقرب من الموت زيي كده ..بيكون نفسك تقرب من الحاجات دي..مهما رفضت دلوقتي..بكره هترجع..أنا بقول لك كده عشان مش عايزك تتأخر".
كان الجو شديد الحرارة، فتح "هيثم" الشباك ليجد عددًا كبيرًا من الغربان، انتشرت الغربان في "هيروبولس" بعد أن تم القضاء على الفئران التي انتشرت على آثار جثث الحروب، الغراب يسبب الكثير من التشاؤم لـ "هيثم"، لم يعد أحد غيره في "هيروبولس" يشعر بوجود طائر الغراب.

تأخذك رواية "هيروبولس"منذ سطورها الأولى في رحلة تاريخية واجتماعية بسيطة ومليئة بالأحداث والشخصيات، فتحكي قصة مدينة مصرية

عظيمة..مدينة شهدت صراعات وحروبًا..مدينة ناضلت وكافحت من أجل البقاء...مدينة "السويس" حاليًا.

في "هيروبولس" تجد تسلسلاً زمنياً لأحداث متباينة شهدتها "مصر" عامة و"السويس" خاصة خلال المائة عام الأخيرة بداية بعصر "إسماعيل"، مروراً بالحروب التي شاركت "مصر" فيها، وحتى عصرنا الحالي، عصر الالكترونيات والتدوين والانترنت، تجد فيها ربطاً بين الأجيال التي عاصرت هذه الفترات.

تعاقُب الأجيال والأحداث بالرواية يجعلك تعيش معهم الفترة الزمنية التي يعاصرونها وتتعمق في شخصياتها فتشعر أنك أحدهم وأن الباقين ليسوا غريبين عنك تمامًا.

والبطل الحقيقي في رواية "هيروبولس"هو المدينة ذاتها..التي شهدت الأحداث والأشخاص..وبالرغم من كل ما شاهدته من دمار وخراب ظلت المدينة الجميلة التي تنعم بالهدوء والصفاء والنقاء..ظلت المدينة التي جاهدت من أجل البقاء.

رواية "هيروبولس"ثاني أعمال الكاتب "محمد التهامي" بعد مجموعته القصصية "بني آدم مع وقف التنفيذ"

رنا تيسير بدوي

شكر خاص

جدي الشهيد

إلي كل شهداء حروبنا .. شكرا لكم على دمائكم الذكية .. إلي الجدي الشهيد مازلت أذكرك و أتحدث عنك

سنوات العمر الضائعة في الهجرة

إلي سنوات العمر الضائعة من عمر أبي و خالي وعمي و أمي و خالتي التي ضاعت في الهجرة و دفع ثمن حرية الوطن

رنا بدوي

قامت الكاتبة بالقراءة الأولي لرواية .. وضعت ملاحظاتها و كتبت المقدمة .. و اخترت أن تكتب المقدمة كاتبه من المستقبل أفضل من كاتب مشهور من الماضي

حسام الدين مصطفي

قام بالمراجعة اللغوية و مجهود كبير في تنسيق .. شكرا لك

شكر سريع

مصمم الغلاف

الناشر

ملاحظة

أشكرك عزيزي القارئ لأنك وصلت إلى السطر الأخير للتواصل معي

Tohamy345@hotmail.com